

البداية المجدولة

لتجديد الدرس النجوى

في العصر الحديث

(القرن الثامن عشر وكتاب بحث المطالب)

البداية الممخولة

لِتَجْدِيدِ الدَّرْسِ النَّجْوِيِّ

فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ

(القرن الثامن عشر وكتاب بحث الطالب)

تقديم الأستاذ الدكتور

حسين نصار

تأليف

د. سامي سليمان أحمد

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ شارع بورسعيد - القاهرة

ت. ٥٩٢٢٦٢٠ - فاكس. ٥٣٦٢٧٧

جميع الحقوق محفوظة للناسر
الطبعة الأولى
١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م



الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ ش بورسعيد - الظاهر ت ٥٩٢٣١٢٠ - فاكس ٥٩٢٦٣٧٧
ص ب ٢١ توزيع الظاهر - القاهرة

٢٠٠٢/١٥٦٢٩	رقم الايداع
977 - 341 - 114 - 1	I.S.B.N الترقيم الدولي

تصدير

للأستاذ الدكتور حسين نصار

فسّر ابن منظور في معجم « لسان العرب » لفظة (النحو) بالقصد والطريق ، ونحو اللغة العربية بانتحاء (قصد) سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقيق (التصغير) والتكبير والإضافة والنسب وغير ذلك ؛ ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة ، فينطق بها وإن لم يكن منهم ، أو إن شذ (خرج) بعضهم عنها رد به إليها . ويمكن القول - للإحاطة والاختصار - بأن هدف النحو العربى معرفة الطرق التى سلكها العرب فى التعبير عن أفكارهم ، وضوابط الظواهر التى غلبت على هذا التعبير .

وقد فطن المفكرون فى المجتمع العربى إلى حتمية تناول النحو العربى - أو جوانب منه - منذ عهد مبكر ، لا يتعدى أواخر القرن الهجرى الأول (السابع الميلادى) ، إن لم نهبط إلى أواخر النصف الأول منه . واشتغل بهذا الوليد الجديد أجيال متعاقبة من العلماء الأفاضل ذهبوا به مذاهب متعددة ، حتى ظن الناس أن (النحو علم نصج واحترق) فلا سبيل إلى إضافة إليه .

ولكن العصور الحديثة جاءت بمناهج جديدة ، ورؤى مبتدعة للبحث ، ووسائل لم تكن عند القدامى . فابتدعت تاريخ النحو لا النحاة ، والنحو المقارن بين اللغات التى تعود إلى أسرة واحدة مثل الساميات ، غير أن بعض

الدارسين تعداها أحيانا إلى اللغات من الأسر المختلفة وانطلقت تدرس أقاليم ،
وعصور ، ولهجات حرمها القدماء

وجاء وقت أحسن مدرّس للغة العربية أن التواصل بينهم وبين تلاميذهم
يكاد ينقطع إن لم يكن قد انقطع فعلا ؛ وأن السبب الرئيسى فى هذه القطيعة
النحو أو طريقة تعليمه .

فقد كانوا يعلمونه كما كان أسلافهم يعلمونه ، بل وفى كتب أسلافهم
أو كتب تسيير على خطى هؤلاء الأسلاف . وغفل هؤلاء المعلمون عن أنهم
يعلمون تلاميذ غير الذين كان أسلافهم يعلمونهم ، ويعيشون حياة غير حياة
الأسلاف ، ويتلقون علوما غير ما كانوا يتلقون ، وبطرق جديدة تحجب
الدراسة ، وتفري بالمتابعة .

وقد فطن الرّاعون من المعلمين والمفكرين ، فنادوا بحتمية تغيير طرق
تعليم النحو العربى ، وابتداع طرق جديدة ، تشوق الطالب ، وتصل به إلى ما
يبغى من قدرة على التعبير السوى عن أفكاره كلاما منظوقا أو مدونا ، تلك
القدرة التى عجزت الطرق التقليدية عن الرّفاء بها .

وما بين يدي القارئ الآن بحث عن أحد هؤلاء المجددين . فقد وقع
الدكتور سامى سليمان أحمد ، المدرس بقسم اللغة العربية فى كلية الآداب من
جامعة القاهرة على كتاب « بحث الطالب » للمطران جبرائيل ابن فرحات
المارونى ، الحصريونى اللبنانى الأصل ، الحلبي المولود والوفاء (١٠٨١ -
١١٤٥ / ١٦٧٠ - ١٧٣٢) ، والذي تسمى بجرمانوس عندما ترهب فى
١٦٩٣ . فوجد فيه ما يستحق الدرس المتأنى .

وجد المؤلف بزلفه للتلاميذ ، ويسعى إلى تدقيق التعريفات والمصطلحات ، وتعديل بعض المفاهيم التي استند إليها النحاة القدماء تعديلاً حرجياً ، والاختيار من اجتهاداتهم ، وإعادة تنسيق أبواب النحو ، ويتوخى الإيجاز والتنظيم الصارم في العرض ويعدد منابع الشواهد والأمثلة لتشمل الثقافة المسيحية مع الإسلامية .

وإذ كان د . سامي سليمان - محقق الكتاب ودارسه - أحد شباب القسم ، من ذوى الوعي والجد والطموح ، الذين يتحلون بالتفكير المنطقي الرزين ، فقد قرأ الكتاب كله قراءة متأنية للفحص والغوص ، لاستخلاص كل الظواهر التي تلوح في الكتاب ، وتغلب أحياناً عليه ، وتناول كل واحدة من هذه الظواهر بالتأمل والعلاج . فعل ذلك ، على هدى من الموجز من التراث القديم ، ومن مؤلفات القريبين من عصره من الشاميين والمستشرقين ، ومن كتابات المصريين الذين يعددهم بعض العلماء أوائل مجددي النحو . ولذلك نجدده يقارن في كل موضع بين صاحب الكتاب ورفاعة الطهطاوى ود . شوقي ضيف ومحمد عيّد وغيرهم . فبلغ إلى أن يخالف - عن حق - شيوخ العلم ، ويضع كتاب « بحث المطالب » موضعه الجدير به في صدر المجددين .

حسين نصار

مقدمة

كان الرأى المتواتر بين دارسى الثقافة العربية يؤكد أن بداية العصر الحديث فيها تعود إلى بداية القرن التاسع عشر ، ويؤسس ذلك على ملاحظة تأثيرات اتصال العرب بأوروبا واحتكاكهم بالثقافة الأوروبية . وفى العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين بدأ يبرز رأى آخر يرد بداية الثقافة العربية الحديثة إلى فترة القرن الثامن عشر ، وقد تبلور هذا الرأى لدى بعض مؤرخى العصر الحديث والثقافة العربية المرتبطة به ، ولعل أشهر من تبنى هذا الرأى وسعى إلى التدليل عليه المستشرق الأمريكى « بيترجران » فى دراسته « الجذور الإسلامية للرأسمالية - مصر ١٧٦٠ - ١٨٤٠ » .

ومن اللافت للانتباه أن بعض مؤرخى الأدب العربى الحديث والثقافة العربية قد سبقوا « جران » فى القول بأهمية دور القرن الثامن عشر فى تشكيل البداية الأولى للثقافة العربية الحديثة ، ومنهم جرجى زيدان ومارون عبود . فقد أهرز زيدان ، قبل « جران » بأكثر من ستة عقود ، فى الجزء الرابع من كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » ، وجهة نظره التى ترى أن البيئة الشامية قد عرفت منذ أواخر القرن السابع عشر ، بدايات التجديد فى الثقافة العربية فى الأدب واللغة والتاريخ ، والتى تمثلت فى كتابات عدد من رجال الدين المسيحيين ، وهم : البطريك مكاريوس الحلبى الأرثوذكسى ، والمطران جرمانوس فرحات المارونى الحلبى (١٦٧٠ - ١٧٣٢) ، والشماس عبد الله زاخر الكاثوليكي (ت ١٧٤٨) .

وقد تكررت الوجهه داتها لدى مارون عسود فى عدد من كتاباته ، ومنها كتابه « رواد النهضة الحديثة » .

وتتصل هذه الدراسة عن « البداية المجهولة لتجديد الدرس النحوى » بكتاب من الكتب التى قدمها واحد من المسيحيين الشوام فى القرن الثامن عشر ، وهو كتاب « بحث الطالب فى علم العربية » الذى ألفه المطران جرمانوس فرحات المارونى الحلبي عام ١٧٠٥ ، ثم اختصره عام ١٧٠٧ . فهى تتناول إذن ، كتاب من القرن الثامن عشر الذى يمثل ، فى بيئة الشام بصفة خاصة ، مرحلة بداية العصر الحديث فى الثقافة العربية . وتمثل كتابات جرمانوس فرحات فى الشعر واللغة والنحو نماذج لظواهر التجديد فى بيئة الشام فى القرن الثامن عشر ، وهذا ما تكشف عنه مقارنة تلك الكتابات بكل من الكتابات السابقة عليها واللاحقة بها . وهذه الدراسة التى نقدمها للقارئ ليست إلا واحدة من عدة دراسات نأمل فى استكمالها لإعادة قراءة البدايات الحقيقية المجهولة فى عدد من مجالات الثقافة العربية الحديثة ، ولا سيما مجالات الأدب والنقد واللغة .

ومن حق القارئ أن نصارحه ، بداية ، بالمفارقة التى تنطوى عليها هذه الدراسة ؛ إذ إن مجالها هو مجال الدرس النحوى الذى يعد أكثر مجالات الثقافة العربية الحديثة اتصالا بالتراث العربى الوسيط ، على حين أنها - من حيث منهجها - تسعى إلى بلورة منهجية معاصرة تفيد من إسهامات بعض الاتجاهات النقدية المعاصرة فى تحليل النصوص الإبداعية والنقدية ؛ فتفيد من

المسمولوب . م. محلى الخطاب وبقد النقد عددا من المنطقات النظرية والأدوات التحليلية والإجراءات المنهجية وتضيف إليها بعض الأدوات التحليلية التى تشيع لدى بعض اتجاهات البحث اللغوى فى دراسة النصوص - على اختلاف أنواعها - كالأحصاء الذى يعد أداة تتيح للمدارس الرصد المنضبط للظواهر التى يدرسها ، وتمنحه مجموعة من النتائج المضبوطة التى يسعى إلى تفسيرها واستنباط الدلالات التى تنطوى عليها .

وقد اعتمدت هذه المنهجية أيضا على المقارنة بوصفها إجراءً منهجيا أساسياً ينهم فى الكشف عن جوانب التشابه والاختلاف بين كتاب « بحث الطالب » من ناحية ، وكتاب رفاة الطهطاوى « التحفة المكتبية » الذى عده كثير من الدارسين أولى محاولات تجديد الدرس النحوى فى العصر الحديث ، وعدد ضخم من كتب التراث النحوى العربى ، لا سيما الكتب المختصرة أو المرجزة التى تصنفها الدراسات اللغوية الحديثة فى إطار « الكتب التعليمية فى النحو العربى » من ناحية ثانية .

وإذا كانت هذه الدراسة قد اتخذت من كتاب « بحث الطالب فى علم العربية » مادة لتحليلها وفق المنهجية التى سعت إلى بلورتها ، فإن آليات هذه الدراسة كانت تنطلق دائما من استنباط العلامات التى يطرحها هذا الكتاب ومقارنتها بالعلامات الدالة فى كتاب « التحفة المكتبية » وفى كتب التراث النحوى العربى . وقد كان التحليل يمضى ، دائما ، وفق منظور يسعى إلى اكتشاف هذه العلامات بوصفها دوال ، ثم البحث عن الدلالات المختلفة التى

تحملها هذه العلامات ، واستنباط الوظائف المتعددة التي تؤديها عبر تواليها أفقيا ورأسيا في « بحث المطالب » .

وقد أفضت هذه الآليات في القراءة إلى متابعة العلامات التي استنبطناها من الكتاب ، وتأثيرها في عدد من الظواهر التي أسميناها ظواهر التجديد في الدرس النحوي في كتاب « بحث المطالب » وهذه الظواهر هي :

نمط التأليف الذي يتشكل من ثلاث علامات فرعية ، هي : البنية الكبرى ، والبنية الصغرى ، وتنظيم بعض أبواب النحو وفق منطق مبتكر يختلف عما ساد في كثير من كتب التراث النحوي . وضبط عدد من مصطلحات الدرس النحوي والتدقيق في صياغتها وإبراز دور الدلالة فيها . ثم الإيجاز في تقديم المادة النحوية والصرفية ، وهو يمثل أداة ضابطة جعلت المؤلف يحدد عددا من العناصر الأساسية في كل موضوع نحوي أو صرفي يحرص على أن يقدمها للمتلقى ، على حين أنه كان يستبعد عددا من العناصر الأخرى التي يراها غير ذات فائدة للمتلقى .

وقد تفاعلت الظاهرتان السابقتان (الضبط المصطلحي والإيجاز) فولدتا معا ظاهرة مركبة أسميناها « بنية تنظيم الموضوع النحوي تنظيما وافيا ودالا في آن » ، مما جعل من هذه الظاهرة الرابعة علامة من أبرز العلامات الفارقة بين كتاب « بحث المطالب » وكتب المختصرات في التراث النحوي العربي .

وقد تمثلت الظاهرة الخامسة من ظواهر تجديد الدرس النحوي في « بحث

المطالب « فى التمثيل للظواهر والقواعد الصرفية والنحوية بأمشلة متواترة فى كتب النحاة العرب القروسطين ، وأخرى مستمدة من الثقافة المسيحية .^١ واعتمد درس تلك الظاهرة الأخيرة على الإحصاء والمقارنة اللذين أفضيا إلى نتيجة ترى أن « بحث المطالب » - سواء فى نسخه المخطوطة ، أو فى طبعاته الثلاث عشرة فى القرن التاسع عشر - كان يُتلقى فى البيئات المسيحية وغير المسيحية فى بلاد الشام طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

وإذا كانت كل الظواهر الخمس السابقة قد درست عبر مقارنة دائمة بين « بحث المطالب » من جهة ، و « التحفة المكتبية » من جهة ثانية ، وكتب المختصرات الصرفية والنحوية فى التراث العربى ، من جهة ثالثة ، وبعض محاولات تجديد النحو العربى فى القرن العشرين من جهة رابعة - فلعلها قد دلت - عند تناول كل ظاهرة وفى نهاية الدرس - على أن « بحث المطالب » يمثل البداية الجهرولة لتجديد الدرس النحوى فى العصر الحديث .

وقد اقتضى تأصيل نموذج تجديد الدرس النحوى الذى قدمه « بحث المطالب » مقارنة هذا الكتاب بكتب المستشرقين السابقين عليه والمعاصرين له فى مجال تعليم النحو العربى ، وكتب الشوام الذين كانوا يعلمون العربية فى الدوائر الاستشرافية منذ الربع الأخير من القرن السادس عشر ، وقد أفضت المقارنة إلى إبراز أصالة نمط التأليف الذى قدمه « بحث المطالب » .

وانتهت الدراسة إلى أكثر من فرض ، منها فرض يطرح منظورا جديدا لإعادة قراءة نمط التأليف أو البنية الكبرى فى مختلف كتابات مرحلة الإحياء

في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ٥ علوه نبعه والنحو والبلاغة والنقد
لاكتشاف الآليات والطرائق التي سعى بها أصحاب هذه الكتابات إلى تقديم
كتب التراث العربي والتعديل فيها استجابة للمتطلبات الجديدة التي فرضها
الواقع الحديث .

إن المأمول من هذه الدراسة أن تدفع الدارسين والباحثين إلى إعادة تأمل
مرحلة بداية العصر الحديث في الثقافة العربية ، ومحاورة الفرضيات التي
سعت هذه الدراسة إلى تأصيلها ، مما يفضي إلى تعديلها أو تطويرها أو حتى
رفضها سعياً إلى فرضيات أخرى أكثر قدرة على اكتشاف بعض جوانب الهوية
الحقيقية للثقافة العربية ، ولا سيما محاولات تجديدها وتطويرها .

(١) مدخل :

مثل تجديد الدرس النحوى جانبا من جوانب تجديد الثقافة العربية الحديثة التى سعى كثير من منتجيتها إلى تطويرها لتصبح أكثر قدرة على الاستجابة للحاجات الفكرية والجمالية والعملية التى ولدها تطور المجتمع العربى الحديث . وقد نال ما قدمه بعض رواد النهضة العربية فى مجال تجديد الدرس النحوى اهتمام عدد من دارسى مسائل التجديد اللغوى والنحوى من الدارسين المحدثين ، وقد استقرت لديهم وجهة نظر ثابتة تقرر تجديد الدرس النحوى العربى الحديث برعاية الطهطاوى الذى أصدر عام ١٨٦٨ كتابه « التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية » ، وتجلت هذه الوجهة لدى كل من محمود فهمى حجازى وشوقى ضيف والبدرائى زهران ، فحجازى قرر ارتباط (حركة التجديد فى عرض النحو العربى فى شكل حديث بكتاب « التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية » ، وقد ألف رفاعة الطهطاوى هذا الكتاب على نمط مؤلفات الفرنسيين فى النحو . لقد أعجب الطهطاوى فى أثناء إقامته فى فرنسا بمنهج الفرنسيين فى عرض النحو ، فخرج على طريقة معاصريه فى

الشروح والمترن والتعليقات ، وألف كتابا سهل العرض ، ليس له متن أو شرح ، بل له نص واحد يقرأ فيفهم ، وكان الطهطاوى أول من استخدم الجداول الإيضاحية فى كتب النحو العربى ، وبذلك بدأت الكتب التعليمية الحديثة فى النحو العربى (١) .

وقد جعل شوقى ضيف من كتاب « التحفة المكتبية » بداية المحاولات الحديثة فى تيسير النحو التعليمى ، وربط بين هذا الكتاب وهدف الطهطاوى فى تعليم الناشئة النحو ، فبعد أن نظم الطهطاوى أرجوزة موجزة سماها « جمال الأجرومية » استضاء فيها (بمترن النحو خاصة بمترن الأجرومية) (...) « أخذ » فى التحفة يقتصر على أبواب النحو الأساسية منحيا عنها الأبواب الفرعية ، ورأى أن يدخل على الكتاب فكرة الجداول المعروفة فى كتب النحو الخاصة باللغة الفرنسية . واتسع فيها حتى ليكاد يكون لكل باب من أبواب النحو جدول خاص به يعرض فيه صيغه المختلفة (٢) .

وأما البدرأوى زهران فقد انطلق فى سعيه إلى الكشف عن أهمية كتاب التحفة المكتبية من إبراز أثره فى الأجيال التالية للطهطاوى فوصفه بأنه

(١) محمود فهمى حجازى : علم اللغة العربية : مدخل تاريخى مقارن فى ضوء التراث واللغات السامية ، توزيع دار الثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٩٤ ، ونشير إلى أن الطبعة الأولى من هذا الكتاب قد صدرت عام ١٩٧٣ ، وانظر أيضا : محمود فهمى حجازى : أصول الفكر العربى الحديث عند الطهطاوى - مع النص للكامل لكتاب « تخلص الإبريز فى تخلص باريز » الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ ، ص ١٣٤ .

(٢) شوقى ضيف : تيسير النحو التعليمى قديما وحديثا ، مع نهج تجديده ، دار المعارف ، ١٩٨٦ ، ص ٢٦ .

(احتلّى منهجه وأمكن الاستفادة منه (...) ؛ فقد قدم رفاعة فيه للثقافة اللغوية لأول مرة عملا جمع إلى أصالته الاستفادة من مناهج الغربيين في وضوح شخصية تبرز ملامحها في تحديد الهدف وتيسير سبل الوصول إليه في وثبة جريئة بعيدة المدى ، تعد بمثابة انطلاقة مكافئة للجمود الذي خلفته قرون ران فيها على العقول ما ران ، وقد كان عمل رفاعة هذا بداية أيقظت عقولا وطرورت فكرا ، وأخذ مؤلفون من بعده يؤلفون على غراره في النحو المدرسي (٣) .

وإذا كانت آراء حجازي وضييف وزهران تجتمع في قرنهما تجديد الدرس النحوي العربي الحديث بكتاب « التحفة المكتبية » للطهطاوي فإنها تعلل ذلك ببروز عدد من الظواهر الدالة على طبيعة ذلك التجديد ، والتي تتحدد في تقديم الطهطاوي طريقة جديدة في التأليف النحوي في إطار تلبية الاحتياجات التعليمية وتقديمه نصا متكاملا ليس له شرح أو حواش ، واستخدام الجداول الإيضاحية في تقديم الموضوعات النحوية بطريقة منظمة ومبتكرة ، ويبدو واضحا أن تجديد الطهطاوي الدرس النحوي العربي الحديث يعود - فيما يرون - إلى تأثر الطهطاوي بالثقافة الأوروبية / الفرنسية .

(٣) البدرأوى زهران : رفاعة الطهطاوي وتيسير نحو العربية في كتابه التحفة المكتبية ، ووقفه مع الدراسات اللغوية الحديثة ، دار المعارف ١٩٨٨ ، ص ٣٨٦ ، ونشير إلى أن الطبعة الأولى من هذا الكتاب قد صدرت عن دار المعارف ١٩٨٣ تحت عنوان « رفاعة الطهطاوي ووقفه مع الدراسات اللغوية الحديثة » مع النص الكامل للتحفة المكتبية ، ولا تختلف الثانية عنها سوى في العنوان ، ويبدو أن تغيير العنوان مرتبط في جانب من جوانبه بنشر شوقي ضيف كتابه « تجديد النحو » عام ١٩٨٢ ، و « تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا » عام ١٩٨٦ .

وتنطلق هذه الدراسة من رأى مختلف تماما قوامه أن البداية الأولى والحقيقية لتجديد الدرس النحوى العربى فى إطاره التعليمى فى العصر الحديث قد بزغت قبل الطهطاوى بأكثر من قرن ونصف القرن ، أو بمائة وواحد وستين عاما على وجه التحديد ، فهذه البداية لا تعود إلى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر (١٨٦٨) بل ترتد إلى العقد الأول من القرن الثامن عشر ، حين قدم المطران جبرائيل / جرمانوس فرحات المارونى الحلبي (١٦٧٠ - ١٧٣٢) كتابه « بحث المطالب » .

ويتطلب تعليل هذا الرأى وتفصيله قراءة كتاب « بحث المطالب » قراءة ذات مقارنة ثنائية بينه وبين كتب المختصرات النحوية والصرفية فى التراث العربى من ناحية ، وكتاب « التحفة المكتبية » للطهطاوى من ناحية ثانية .

وتؤسس هذه القراءة لنفسها عددا من المقدمات الأساسية التى تتصل ببيان مواقف عدد من الدارسين العرب المحدثين والمستشرقين من هذا الكتاب ، والتعريف البالغ بالإيجاز بالمؤلف الذى توشك جهوده التجديدية فى الأدب واللغة العربية أن تكون مجهولة لدى الغالبية العظمى من مؤرخى الثقافة العربية الحديثة ، ووصف الكتاب وطبعاته ، وتحديد مفهوم تجديد الدرس النحوى .

وليست تلك المقدمات السابقة إلا أساسا لتحديد الفرضية الأساسية التى يمكن أن يقرأ هذا الكتاب فى ضوءها لاستكشاف ظواهر تجديد

(١ / ٢) مواقف الدارسين من كتاب « بحث المطالب »

لعل أول ما يلفت انتباه الدارس / القارئ أن عددا قليلا من دارسى الأدب العربى الحديث من العرب ومن المستشرقين قد توقفوا بإيجاز أمام جهود جرمانوس فرحات ، ولكنهم اكتفوا دائما بالإشارة إلى كتابه « بحث المطالب » ووصفوه دائما أوصافا موجزة لا تكشف على الإطلاق عن ماهيته ، ولا تدفع القارئ / الدارس إلى مجرد التفكير فيما يمكن أن ينطوى عليه هذا الكتاب من تحديد ؛ فقد اكتفى جورجى زيدان بالإشارة إلى أن هذا الكتاب طبع مرارا ^(٤) ، على حين أسند مارون عبود لجرمانوس فرحات (فضل التأليف فى النحو ، فهو أول نصرانى ألف فيه ، بعدما أخذ هذا العلم عن الشيخ سليمان النحوى المسلم فى حلب) ^(٥) . ورأى أمين ألبرت الريحانى ، فى بداية العقد الثامن من القرن العشرين ، أن فرحات بوصفه لغويا قد تفهم (الحاجة الماسة لوضع كتب فى قواعد اللغة العربية تسهل حفظ هذه اللغة وإتقانها ، فألف فى الصرف والنحو والبيان كتبا استمرت قيد الاستعمال والتداول بين المسيحيين حتى زمن قريب) ^(٦) .

(٤) انظر : جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية . الجزء الرابع ، دار الهلال ، بدون تاريخ ، ص ١٠ .

(٥) مارون عبود : رواد النهضة الحديثة ، نشر وتوزيع دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٦ ، ص ٣٥ .

(٦) أمين ألبرت الريحانى : مدار الكلمة : دراسات نقدية ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، دار الكتاب المصرى ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ١١١ .

وقد توقف عدد من المستشرقين أمام كتابات جرمانوس فرحات ليشيروا أحيانا إلى أهمية بعضها في إطار الأدب المسيحي العربي ، أو ليومثوا أحيانا إلى انتشار عدد من كتبه في البيئات المسيحية العربية ، فالمستشرق الألماني هارتمان "Martin Hartmann" أشار في العقد الأخير من القرن التاسع عشر إلى أن فرحات هو النموذج الأكثر سطوعا بين المؤلفين المسيحيين العرب في نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر ، وأقر أن أشهر كتاباته هو كتابه في النحو « بحث الطالب »^(٧) على حين توقف المستشرق الألماني جراف "Georg Graf" ، قسرب نهاية النصف الأول من القرن العشرين ، في كتابه « تاريخ الأدب المسيحي العربي Geschichte der Christlichen Arabischen Literatur أمام كتابات جرمانوس الدينية والتاريخية والأدبية واللغوية ، ثم انتهى إلى القول إن (جرمانوس فرحات هو مؤلف أكثر كتب نحو اللغة العربية انتشارا في مدارس المسيحيين ، ولكنه لم يشق طرقا جديدة لعلم اللغة في مؤلفاته ، فقد التزم دائما بالمنهج التقليدي للمؤلفين المسلمين في النحو ، وينحصر تجديده في تقديمه أمثلة للقواعد النحوية من الترجمات العربية للإنجيل)^(٨) .

أما المستشرق الإنجليزي ستاركي "Paul Starkey" فقد توقف في نهاية العقد الأخير من القرن العشرين أمام فرحات ليصفه بأنه كان (بشيرا بنهضة القرن التاسع عشر ، وتبدو أهميته بوضوح في مجال تعليم اللغة

Hartmann, Martin : Philologie , Deutsche Literatur Zeitung, N.5 (٧) February 1896. P. 136 .

Graf,Georg : Geschichte der Chirstlichen Arabischen literatur, Band 3, (٨) Citta del vaticana, Biblioteca Apostollca vaticana, 1977, P. 416 .

العربية بتقديمه كتباً تعليمية في مجالات المعاجم ، والنحو ، والبلاغة ، والتي
لقيت انتشاراً واسعاً (٩) .

ومن الواضح أن المستشرقين الذين ترقفوا أمام كتابات جرمانوس فرحات
قد لفهم انتشار كتبه التعليمية في أوساط التعليم المسيحي ، وإذا كان جراف
قد اختلف عن الآخرين في وقفته المطولة - مقارنة بهما - أمام كتاب « بحث
المطالب » فإنه اكتفى بحصر التجديد فيه في استمداد فرحات أمثلة القواعد
النحوية من الترجمات العربية للإنجيل ، ومنتوقف أمام هذا الرأي في
موضع تال لمناقشته وتحديد هويته الحقيقية مكتفين هنا بالإشارة إلى أن ظاهرة
استشهاد جرمانوس بأمثلة من الترجمات العربية للإنجيل ليست إلا
ظاهرة واحدة فقط من ظواهر تجديد الدرس النحوي التي يمكن استنباطها من
القراءة العميقة للكتاب .

(٣ / ١) التعريف بجرمانوس فرحات وجهوده التجديدية

يتصل المدخل الثاني بالتعريف الموجز بالمؤلف ، فهو جبرائيل بن فرحات
مطر الماروني ، المولود في حلب عام ١٦٧٠ على ما يتفق من ترجموا له فيما
عدا سعيد الشرتوني الذي أشار في مقدمته لديوان فرحات ، إلى أنه ولد عام
١٦٢٠ (١٠) ، ويبدو رأيه مجانباً الصواب ، بخالفته الرأي السائد بين من

(٩) Starkey, Pual and Melsami, Julie Scott (ed.) Encyclopedia of Arabic literature, V. 1, Routledge, London and New York, 1998, P221 .

(١٠) انظر : ديوان جرمانوس فرحات : الطبعة الثانية ، تعليق وتصحيح سعيد الخوري الشرتوني ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت ١٨٩٤ ، ص ٩ من ملخص ترجمة الناظم ، وقد يبدو أن هذا التاريخ خطأ مطبعي لأن سياق أحداث حياة جرمانوس في هذه الترجمة تبين أنه ولد عام ١٦٧٠ .

ترجموا لفرحات ، لا سيما أن الشرطوني لم يعلل رأيه ذاك . وتعود الأصول الأولى لفرحات إلى حصرون ببنان ، وقد تعلم في المدرسة المارونية بحلب ، ودرس علم اللاهوت ، واتصل بالثقافة العربية الوسطى - لا عميقا تكشف عنه مؤلفاته الأدبية واللغوية ، وأتقن عدة لغات هي العربية ، والاسبانية واللاتينية والإيطالية ، ودخل سلك الرهبنة سنة ١٦٩٣ ، وحمل جرمانوس ، وتنقل في أديرة كثيرة في سوريا ولبنان ، إلى أن انتخب مطرانا على حلب سنة ١٧٢٥ ، وذهب في رحلات متعددة إلى عدد من دول أوروبا ولا سيما إيطاليا وأسبانيا ، وتوفي بحلب عام ١٧٣٢ (١١) .

(١١) انظر المصادر التالية التي قدمت ترجمة جرمانوس فرحات :

- جرجس منشا الماروني الحلبي : المستطرفات المستطرفات في حياة السيد جرمانوس فرحات ، المشرق ، السنة الرابعة ، العدد الثاني ١٥ كانون الثاني ١٩٠٤ ، ص ٤٩ - ٥٦ .
- جرجس منشا الماروني الحلبي : تركة السيد جرمانوس فرحات ، المشرق ، السنة السابعة ، العدد ٨٧ ، ١٥ أبريل ١٩٠٤ .
- ديوان جرمانوس فرحات ، مرجع سابق ، ترجمة الناطم ، ص - ص ٩ - ١٢ .
- جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، الجزء الرابع ، مرجع سابق ، ص ٩ - ١٠ .
- مارون عبود : رواد النهضة الحديثة ، مرجع سابق ، ص - ص ٣٤ - ٣٩ .
- جرمانوس فرحات : أحكام باب الإعراب عن لغة الأعراب ، تصحيح رشيد الدحداح ، مطبعة باراس وسافورنين ، مرسيلية ١٨٤٩ ، ص ٢١ - ٢٤ حيث قدم الدحداح تعريفا بجرمانوس تحت عنوان « مطلب في تلخيص حياة المؤلف » .
- بطرس البستاني : دائرة المعارف ، المجلد السادس ، دار المعرفة ، بيروت ١٨٧٦ ، ص - ص ٤٣٧ - ٤٣٨ .
- إدورد فنديك : اكتفاء القنوع بما هو مطبوع من أشهر التأليف العربية في المطابع الشرقية والغربية ، صححه وزاد عليه بعض الكلام السيد / محمد على البيلاوى ، طبع بمطبعة التأليف (الهلال) بالجمالة سنة ١٨٩٦ ، ص ٣٠٩ . ونشير إلى أن فنديك هو الوحيد فيما نعلم الذى انفرد بالقول أن جرمانوس فرحات قد توفي عام ١٨٢٦ .
- يوسف إلياس سركيس : معجم المطبوعات العربية والمعربة : الناشر : مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص - ص ١٤٤١ - ١٤٤٢ .
- خير الدين الزركلى : الأعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين والمستعربين ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٩٠ ، ص ١٠٩ - ١١٠ .
- كارل برركلمان : تاريخ الأدب العربى ، القسم الثامن . العصر العثماني ترجمة محمود فهمى حجازى وعمر صابر عبد الجليل ، إشراف محمود فهمى حجازى ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٥ ، ص - ص ٣٦ - ٣٧ .

وضع جرمانوس فرحات مؤلفات كثيرة في علوم اللاهوت / العلوم الدينية ، وما تزال الغالبية العظمى منها مخطوطة ^(١٢) . وأما إسهاماته الأدبية واللغوية فتتمثل في ديوانه الذي طبع مرتين في القرن التاسع عشر ، ويبرز فيه علاقته العميقة بالتراث الشعري العربي الوسيط ، حيث لجأ إلي تسميط عدد من قصائده المعري وابن سينا والسهروردي ومقطوعاتهم ، وألف بعض المقطوعات التي يعارض بها بعض مقطوعات المعري ، كما كتب عددا من المثلثات والخمسات ^(١٣) ، ويمكن أن يوضع شعره في إطار المرحلة الأولى من مراحل الإحياء الأدبي في العصر الحديث .

ويمثل معجمه « إحكام باب الإعراب عن لغة الأعراب » نموذجا للدراسة المعجمية الحديثة المبكرة في القرن الثامن عشر ، أي في مرحلة البداية الجاهلة لشقافة العصر الحديث ، وهو اختصار وإضافة إلى القاموس المحيط ، وقد وصفه بعض الدارسين بأنه بداية الحركة المعجمية الحديثة في لبنان ^(١٤) .

(١٢) انظر مقال جرجس منش الماروني الخلي : تركة السيد جرمانوس فرحات ، سبق ذكره ، حيث يرمد كتابات فرحات الدينية ، وانظر أيضا : غورغييس صواد : الأصول العربية للدراسات السريانية ، مطبعة الجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٨٩ ، صفحات ٨٤ - ٩٠ ، ١٠٥ - ٢٢٢ ، وانظر أيضا : بطرس حداد وجمال اسحاق : المخطوطات السريانية والعربية في خزانة الرهبانية الكلدانية في بغداد ، الجزء الثاني : المخطوطات العربية ، مطبعة الجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٨ ، ص - ص ٢٣ - ٤٢ .

(١٣) انظر ديوان جرمانوس فرحات ، مرجع سابق ، ص ٢٧٤ - ٢٧٨ ، ٣١٠ - ٣١١ ، ٤٣٩ ، ٤٩٦ - ٤٩٧ وغيرها من الصفحات .

(١٤) انظر حسين نصار : المعجم العربي : نشأته وتطوره ، الطبعة الرابعة ، دار مصر للطباعة ١٩٨٨ ، الجزء الثاني ، ص ٥٠٧ حيث يقول المؤلف في نهاية دراسته لهذا المعجم (أظن أن هذا الكتاب أثر في المدرسة الحديثة التي أرادت أن تولد معجمات تلائم هذا العصر وخاصة مدرسة اليسوعيين فاتبعوه في كثير من خطوات منهجه) . وانظر أيضا : محمد علي الزركان : الجرائب اللغوية عند أحمد فارس الشدياق ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، سوريا ١٩٨٨ ، ص ١١٢ .

والجرمانوس فرحات كتب أخرى فى اللغة والنحو منها « الأجوبة الجلية فى الأصول النحوية » ، الذى ظل مخطوطا إلى قرب نهاية الثلث الأول من القرن التاسع عشر ، حيث صدرت منه عدة طبعات فى أعوام ١٨٣٢ ، ١٨٤١ ، ١٨٥٧ ، ١٨٨٦ ، ١٨٩٩ . ويمثل هذا الكتاب نمطا من أنماط التأليف الحديث فى مجال النحو التعليمى ، ويمكن تقسيمه إلى قسمين ، نظرى وتطبيقى ، ويبدأ القسم الأول بمقدمة عن معنى الكلام وأقسامه ، تليها سبعة أبواب يعالج أولها الإعراب ، ويتوقف ثانيها عند علامات الإعراب ، ولذا ينقسم إلى خمسة فصول ، على حين يختص الباب الثالث بالأفعال ، وليس فيه فصول ، أما الباب الرابع فيتناول مرفوعات الأسماء ، وينقسم إلى أربعة فصول تعالج الموضوعات التالية : الفاعل ، المفعول الذى لم يسم فاعله ، المبتدأ والخبر ، ثم العوامل الداخلة على المبتدأ والخبر . ويتناول الباب الخامس التوابع ، وينقسم إلى ثلاثة فصول يتناول فيها جرمانوس العطف والتوكيد ثم البديل ، على حين أن الباب السادس هو أطول فصول هذا الكتاب الموجز ، ويتناول فيه جرمانوس فرحات الأسماء المنصوبة ، وقد قسمه إلى عشرة فصول تمضى على النحو التالى : المفعول المطلق ، المفعول به ، المفعول فيه ، المفعول له ، المفعول معه ، الاستثناء ، الحال ، التمييز ، لا النافية للجنس ثم المنادى . أما الباب السابع فيتناول فيه الخفوضات .

وقد جعل جرمانوس القسم الثانى من كتابه قسما تطبيقيا قدم فيه أمثلة معربة تحت عنوان « إعراب أمثلة الأجرومية » .

ويتبدى تجديد نمط التأليف في « الأجوبة الجلية في الأصول النحوية » ، في بناء قسمه الأول على تقنية السؤال والجواب ، حيث يطرح سؤال عن القاعدة الأساسية المراد شرحها ، وتقدم إجابة موجزة تعرض القاعدة النحوية في جملة مركزة ، وتقرن بها أمثلة شارحة للقاعدة وحالاتها أو أنماطها المختلفة ، ويمكن التمثيل لهذه التقنية بمعالجة المؤلف للمفعول المطلق التي تمضى على النحو التالي :

(س : ما هو المفعول المطلق ؟)

ج : المفعول المطلق هو المصدر المسلط عليه عامل إما من لفظه ومعناه أو من معناه فقط . مثال الأول : ضربته ضربا ، ومثال الثاني : جلست قعودا - فضربا مصدر منصوب مسلط عليه عامل موافق له في لفظه ومعناه وهو « ضرب » ، وقعودا مصدر منصوب مسلط عليه عامل من معناه لا من لفظه وهو « جلس » .

س : إلى كم نوع ينقسم المفعول المطلق ؟

ج : إلى نوعين : مؤكد ومبين ، فالمؤكد ما ساوى معناه معنى فيعله كقولك (ضربت ضربا ، والمبين ما زاد على فعله بإفادة عدد ، كضربته ضربتين ، أو نوع كضربته ضرب المؤدب) (١٥) .

وقد ألحق جرمانوس بمعجمه « إحكام باب الإعراب عن لغة الأعراب » فصلا تناول فيه معاني علامات الإعراب حيث عرض فيه الأدوات التي

(١٥) جرمانوس فرحات : الأجوبة الجلية في الأصول النحوية ، الطبعة الثالثة ، مطبعة الآباء الفرنسيسكانيين ، أورشليم ١٨٨٦ ، ص ٣٨ - ٣٩ .

تدخل على الجملة وتؤثر في إعرابها ودلالاتها ، وقد رتب هذه الأدوات ترتيبا هجائيا .

ويبدو أن هذا الفصل كان كتابا مستقلا بدليل أن بروكلمان يذكر أن له مخطوطتين : إحداهما في ميونيخ والأخرى في الفاتيكان ، وكل منهما تحمل عنوان « الفصل المعقود في عوامل الإعراب »^(١٦) ، ولعل ذلك يشير إلى أن جرمانوس قد ألف « عوامل الإعراب » كتابا مستقلا ثم ضمه إلى معجمه « إحكام باب الإعراب عند لغة الأعراب » الذي انتهى من تأليفه عام ١٧١٨ .

أما كتابه « بحث المطالب » فقد ألفه سنة ١٧٠٥ ، وكان يستخدم في البداية في تدريس النحو العربي في أديرة الآباء اليسوعيين ومدارسهم ، فأدرك جرمانوس ما فيه من تطويل في عرض موضوعات النحو والصرف فاختصره عام ١٧٠٧ ، بينما يرى جراف أن اختصاره كان في يناير ١٧٠٨^(١٧) ، وهذا المختصر توجد منه نسخ خطية كثيرة منها تسع وعشرون نسخة في مكتبات حلب ، وخمس نسخ في دير الشرفة ونسخة في دير الخالص ، وثلاث نسخ في المكتبة الشرقية ببيروت ، ونسخة في المكتبة الوطنية بباريس وتتراوح تواريخ عدد من هذه النسخ بين عامي ١٧٠٧ و ١٨١٦^(١٨) .

(١٦) انظر : بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، القسم الثامن : العصر العثماني ، مرجع سابق ، ص ٣٧
(١٧) انظر : مقال جرجس منش المازوني الحلبي : مطالب في بحث المطالب ، مجلة المشرق ، السنة الثالثة ، العدد ٢٣ ، يناير ١٩٠٠ ، ص ١٠٧٨ ، ويقع المقال ص ١٠٧٧ - ١٠٨٣ ،
وانظر رأي جراف في كتابه : Geschichte der Christlichen Arabischen Literature, P 417 .

(١٨) حول هذه النسخ الخطية ، انظر كوركيس عواد : الأصول العربية للدراسات السريانية ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٨٩ ، ص ٧٨ .

وقد طبع هذا الكتاب للمرة الأولى في المطبعة الأمريكية بمالطة عام ١٨٣٦ ، والمرجع أن أحمد فارس الشدياق (١٨٠١ - ١٨٨٧) هو الذى تولى الإشراف على طباعته ، وأضاف إليه نحو خمسين ملاحظة . وهناك من يرى أن الشدياق قد اختصر هذا الكتاب ونشره تحت عنوان « الأجوبة الجلية فى الأصول النحوية » وطبعه بمالطة عام ١٨٤١ (١٩) .

وقد توالى طبعات الكتاب فى القرن التاسع عشر ، ويمكن رصد هذه الطبعات وما أدخل عليها الطابعون من تغييرات مختلفة .

وأولى هذه الطبعات هى طبعة بطرس البستانى عام ١٨٤٥ والتى أعطاها عنوان « مصباح الطالب فى بحث المطالب » ، وقد حذف من الكتاب الأمثلة التطبيقية الموضوعة فى نهاية طبعة (١٨٣٦) ووضع بدلا منها رسالة « نقطة الدائرة فى العروض » لناصيف بن عبد الله اليازجى ، وأعدت المطبعة الكاثوليكية فى بيروت طبعة عام ١٨٦٥ دون إضافة تعليقات عليه ، كما طبع الكتاب بعد ذلك فى مطبعة الحكومة اللبنانية عام ١٨٧٦ .

(١٩) انظر : محمد على الزركان : الجوانب اللغوية عند أحمد فارس الشدياق ، مرجع سابق ، ص - ص ٢٧٥ - ٢٧٧ حيث يحصر فيها آثار الشدياق المطبوعة ، ويذكر من بينها (الأجوبة الجلية فى الأصول النحوية ، مالطة ١٨٤١) ص ٣٧٥ ، وفى هامش (١) من الصفحة ذاتها يذكر أن هذا الكتاب (مختصر لكتاب بحث المطالب لجبرمانوس فرحات) . أما محمد الهادى المطرى فيذكر أن هذا الكتاب للشدياق حيث يقول (الأجوبة الجلية فى الأصول النحوية ، وهو مختصر كتاب « بحث المطالب » لجبرمانوس فرحات (...) والظاهر أن دور الشدياق فيه تمثل فى إضافة تعليقات من عنده) ص ١٩٢ من دراسته : أحمد فارس الشدياق : حياته وآثاره وأراؤه فى النهضة العربية ، القسم الأول ، دار الغرب الإسلامى بيروت ١٩٨٩ .

ويبدو أن سعيد الشرتوني قد اهتم اهتماما كبيرا بهذا الكتاب ، إذ أضاف إليه تعليقات وحواشي كثيرة وطبعه بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت عام ١٨٨٢ ، ثم صدرت من نسخة الشرتوني هذه ست طبعات أخرى في الفترة من ١٨٨٢ إلى ١٩١٣ .

وقد طبع الكتاب أيضا في جزأين مستقلين ، اشتمل الأول على قواعد الصرف ، وصدر في بعد عام ١٩٠٠ تحت عنوان « كتاب الصرف » واشتمل جزؤه الثاني على قواعد النحو ، وطبعه المعلم بطرس البستاني تحت عنوان « كتاب النحو » وأصدره عام ١٩٠٠ أيضا (٢٠) .

إن تعدد طبعات هذا الكتاب ، والتي وصلت إلى ثلاث عشرة طبعة في أقل من ثمانية عقود ، يشير إلى سعة انتشاره بين فئات كثيرة من الطلاب والمتعلمين في فترة لا نعرف أن كتابا من كتب النحو التعليمية الحديثة قد تكرر طبعه فيها هذا العدد من الطبعات ، ولعل هذه الظاهرة الطباعية تعود إلى ما ينطوي عليه هذا الكتاب من تحديد حقيقي نسبي في الدرس النحوي جعله محققا لمتطلبات تجديد هذا الدرس طوال القرنين : الثامن عشر والتاسع عشر .

وقد قدم المؤلف لكتابه بمقدمة قصيرة تقع في صفتين فقط أشار فيها ، بإيجاز شديد ، إلى أسباب تأليفه وإلى طبيعة كتابه ، وبعد مقدمة المؤلف ينقسم الكتاب إلى : مقدمة وثلاثة كتب وخاتمة (حسب مصطلحات

(٢٠) حول هذه الطبعات راجع مقال جرجس منش الحلبي وكتاب « جراف » المذكورين في هامش رقم ١١ ، في الصفحة السابقة .

المؤلف ويعرض المؤلف في المقدمة أحوال الحروف الهجائية والحركات العربية ، بينما يخصص الكتاب الأول لتصريف الأفعال ، والثاني لتصريف الأسماء ، والثالث لقواعد النحو ، على حين تختص الخاتمة بتناول مسائل إعراب الكلام المركب . وقد أشار المؤلف في تقديمه للكتاب إلى هذه الأقسام ، ويجد القارئ قسما في نهاية الكتاب عنوانه « إعراب أمثلة بحث الطالب » ، ومن الراجح أن يكون هذا القسم إضافة من الشدياق الذي نشر الكتاب للمرة الأولى عام ١٨٣٦ بدليل أن المؤلف لم يشر في تقديمه للكتاب إلى هذا القسم .

ومن الملاحظ أن المؤلف قد سمى كتابه في المقدمة « بحث الطالب وحث الطالب » ، وهو الاسم الذي سجله بروكلمان للكتاب ^(٢١) ، ولكن الاسم المتداول هو « بحث الطالب » إذ هو الاسم الموجود على مخطوطات الكتاب التي أشار إليها كوركيس عواد وأشارت إليه مجلة المشرق في بداية القرن العشرين ^(٢٢) ، وحمله الكتاب في نشراته المختلفة طوال القرن التاسع عشر ، ولا يستثنى منها إلا نشرة الشدياق التي حملت عنوان « كتاب بحث الطالب في علم العربية » ولهذه التسمية علاقة بمحتوى الكتاب وتحمل دلالة / دلالات تتصل مباشرة بنمط تحديد الدرس النحوي الذي يقدمه هذا الكتاب (وستوقف أمام هذه المسألة في فقرة تالية) .

(٢١) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، مرجع سابق ، ص ٢٠ .
(٢٢) انظر : كوركيس عواد . الأصول العربية للدراسات السريانية ، مرجع سابق ، ص ٧٨ ، وانظر أيضا : جرجس منش الماروني الحلبي : طالب في بحث الطالب ، مجلة المشرق ، السنة الثالثة ، عدد رقم ٢٣ ، الأول من يناير ١٩٠٠ ، ص - ص ١٠٧٧ - ١٠٨٣ .

(٤ / ١) مفهوم تجديد الدرس النحوى ومقوماته :

تصل المقدمة الأخيرة من مقدمات قراءة كتاب « بحث الطالب » بتحديد مفهوم تجديد الدرس النحوى .

إن التجديد - فى دلالة الأساسية - ينصرف إلى نقد أسس المجال المعرفى الذى يتم تجديده ، أو إعادة تعديل تلك الأسس وتغييرها ، استجابة لحاجة اجتماعية يولدها تطور المجتمع ، ويمكن وصف التجديد بإيجاز بأنه ظاهرة نسبية ، تتحدد نسبتها فى ضوء مجموعة من المحددات أهمها : طبيعة العلم أو المجال المعرفى أو النشاط الثقافى الذى يتم تجديده ، وطبيعة اللحظة التاريخية التى تفرز الحاجة إلى التجديد ، وطبيعة المتلقى أو الفئات التى يتوجه إليها المجدد بتجديده ، ثم المجدد نفسه ، ولا سيما قدرته على اكتشاف المتغيرات الجديدة التى تدفع إلى التجديد وتوجهه ، وقدرته على أن يبلور النموذج الجديد واعيا بجوانب القصور فى المادة أو المجال المعرفى « الموروث » الذى يسعى إلى تغييره أو تطويره .

يقود التحديد السالف للتجديد إلى تعيين المقصود بتجديد الدرس النحوى ، فالدرس النحوى - فى معناه الضيق فى التراث - ينصرف إلى دراسة مسائل بناء الجملة ، ويتطلب ذلك الدرس تحديد دلالات المصطلحات المستخدمة وتعيين القواعد الأساسية لإنشاء الأنماط المختلفة من الجمل ، وتحديد القواعد الجزئية التى تتصل بالظواهر التركيبية الصغرى ، كظواهر التقديم والتأخير أو الحذف ، أو تتصل بالإمكانات الإعرابية المختلفة لبعض الأنماط النحوية أو التركيبية .

ولقد ورث دارس النحو العربي في العصر الحديث تراثا نحويا ضخما خلفه النحاة العرب في العصور الوسطى ، وهو تراث يتصف ، من ناحية ، بشموله في استقصاء مختلف الموضوعات والظواهر النحوية ، في إطار الحد الزمني الذي وضعه النحاة لعصور الاحتجاج ، كما يتسم من ناحية ثانية ، بعكوف متجيه على الدرس المفصل لعدد هائل من الظواهر والمجالات الصغرى المتصلة بأنماط الجملة ووظائف الأدوات المسهمة فيها .

وقد فرضت طبيعة التراث النحوي العربي على المجدد الحديث للدرس النحوي العربي أن يسعى إلى تدقيق التعريفات والمصطلحات التي استخدمها النحاة العرب « القروسطيون » معتمدا في هذا على إضافات يستمدّها من التراث النحوي نفسه ، وتعديل بعض المفاهيم التي كان النحاة « القدماء » يستندون إليها تعديلا جزئيا ، والاختيار من اجتهادات النحاة « القدماء » ، وإعادة تنسيق أبواب النحو العربي ثم الدعوة أحيانا إلى إلغاء الإعرابين التقديرى والعلوى .

وتكاد تلك الملامح معظمها تبدو جلية في محاولتى شوقى ضيف لتجديد النحو وتيسير النحو التعليمى .

وستكشف قراءتنا لكتاب « بحث المطالب » عن طبيعة ظواهر تجديد الدرس النحوي فيه ، ويكفى - قبل استنباط هذه الظواهر من قراءة الكتاب - أن نقدم دون تعليق النص الموجز الذى قدمه المؤلف في تقديمه للكتاب يشير فيه إلى أهدافه ويبرز طبيعة كتابه ، فيقول في المقدمة (أنشأت مؤلفا ينطوى

على مقدمة وثلاثة كتب وخاتمة ، وجمعت فيه ما تفرق من القواعد العربية تصريفا ونحوا فى كتب متعددة وأثبت منها ما يلزمنا ، ونبت عنا ما هو غريب منا (. . . .) وأهملت التعليقات المملة والاعتراضات المملة لما رأيت ابن الحاجب قد حجب الأفهام برواياته ، وابن هشام قد هشم الأوهام بإيراداته ، وابن مالك قد ملك الأذهان بزياداته ، فما هى إلا زيادة تدقيق وتنميق تحقيق ، أو أن لهم فى ذلك غرضا لا يشملنا (.) . إن المقصود من تأليف ما ألفناه وألفناه ثلاثة أمور : الأول إزالة تعقيد العبارات المبهمة ، الثانى : ضم جميع ما تلزمنا معرفته من هذه الصناعة فى مؤلف واحد بوجه الاختصار ، الثالث : إيراد شهاداته من الكتب المقدسة حسب الإمكان . وسميته بحث المطالب وحث الطالب . والمقصود منه نفع أولاد المسيحيين لئلا يتغربوا فيتجربوا ولئلا يتعبوا فيتعبوا (٢٣) .

إن هذه القراءة تنطلق من فرضية ترى أن اقتناص ظواهر تجديد الدرس النحوى فى كتاب « بحث المطالب » يتطلب استنباط مجموعة العلامات الدالة على ذلك التجديد ومقارنتها بالعلامات السائدة فى كتاب « التحفة المكتبة » وفى كتب المختصرات النحوية والصرفية فى التراث العربى .

(٢) ظواهر تجديد الدرس النحوى فى « بحث المطالب » :

يتأسس تجديد الدرس النحوى فى « بحث المطالب » على خمس ظواهر

(٢٣) جرمانوس فرحات المارونى الحلبي : كتاب بحث المطالب فى علم العربية ، مع حواش لمصححه المعلم سعيد الخورى الشرتونى ، الطبعة الرابعة ، مطبعة المرسلين اليسوعيين ، بيروت ، ١٨٩٥ ، ص ٥ من مقدمة المؤلف ، ونشير إلى أن هذه المقدمة ليست موجودة فى طبعة الكتاب عام ١٨٣٦ ، وهى الطبعة التى نعتمد عليها فى هذه الدراسة .

ذات دلالة وهى : نمط التأليف الذى يتكون من ثلاث علامات رئيسية هى :
البنية الكبرى ، والبنية الصغرى ، وتنظيم بعض الأبواب النحوية وفق منطق
مبتكر ، ويعد السعى إلى ضبط عدد من مصطلحات الدرس النحوى والتدقيق
فى صياغتها وإبراز دور الدلالة فى ضبطها الظاهرة الثانية منها ، على حين
تتمثل الظاهرة الثالثة فى تحول الإيجاز فى اختيار المادة النحوية إلى علامة
دالة . وتنتج الظاهرة الرابعة من تفاعل الظاهرتين السابقتين معا ، وتتمثل
فيما يمكن أن يوصف بأنه « بنية تنظيم الموضوع النحوى تنظيمًا وافيًا ودالًا »
فى آن . وأما الظاهرة الخامسة فتتبدى فى التمثيل للظواهر النحوية والصرفية
بأمثلة تراثية ؛ أى متواترة فى كتب النحاة العرب القروسطين ، وأخرى
مستمدة من الثقافة المسيحية .

وتختص كل فقرة من الفقرات التالية بتحليل ظاهرة من هذه الظواهر .

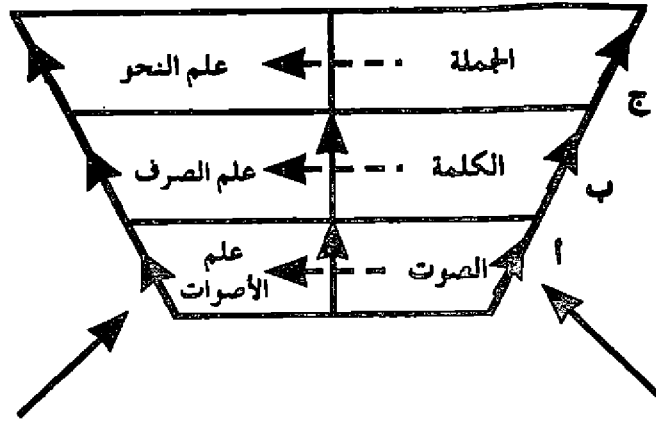
(١ / ٢) نمط التأليف وعلاماته : البنية الكبرى

يمثل نمط التأليف الظاهرة الأولى من ظواهر تحديد الدرس النحوى فى
كتاب « بحث المطالب » ، ونقصد بهذا النمط الطريقة التى يتبعها المؤلف أو
يسنها فى تنظيم المادة اللغوية أو النحوية بهدف تحقيق غايات صريحة أو
مضمنة فى النمط نفسه . ويتشكل نمط التأليف من عدد من العلامات المتوالية
والآليات التى تستخدم لتثبيت ذلك النمط فى مستوييه الأفقى والرأسى ،
ومن تأمل كتاب « بحث المطالب » يتبدى أن هناك ثلاث علامات أساسية
تشكل نمط التأليف فيه ، وهى : البنية الأساسية أو الكبرى ، وعلامة تنظيم

المادة أو بعض الأبواب وفق منطق جديد يختلف عن المنطق السائد في كتب النحاة السابقين ، ثم البنية الصغرى بوصفها علامة تتصل مباشرة بطريقة تنظيم المادة النحوية أو اللغوية داخل الوحدة الصغرى أو المطلب حسب اصطلاح جرمانوس لرحات .

وفي ضوء ما سلف يكتشف قارئ « بحث المطالب » أن البنية الأساسية لهذا الكتاب قد شكّلت وفق مبدأ قار في الكتاب دون أن يصرح المؤلف به ، وإن استكشف القارئ تجلياته الصينية في « بحث المطالب » ، ويتمثل ذلك المبدأ في تنظيم المادة اللغوية والنحوية على نحو متطور أو متقدم ، يبدأ بمكوناتها الصغرى ، ثم ينتقل منها إلى مكوناتها الوسطى ، في حين يختتم عرضها بتحليل مكوناتها الكبرى ، ويصجلي هذا المبدأ في اختصاص مقدمة الكتاب بتناول عدد من الجوانب الأساسية الخاصة بأصوات اللغة العربية ، بعدها يتم الانتقال إلى الكتاب الأول الذي تدرس فيه مسائل تصريف الأفعال ، ثم يختص الكتاب الثاني بدراسة مسائل تصريف الأسماء ، مما يعني أن هذين البابين مختصان بدراسة بنية الكلمة المفردة وقوانين صياغتها واشتقاقاتها وما يعترّ بها من تغيرات بنائية وصوتية مختلفة . في حين يقتصر الكتاب الثالث وخاتمته على دراسة النحو بالمعنى الضيق الذي يعنى بدراسة الجملة وقواعد تركيبها وأنماطها المختلفة .

ويمكن تمثيل بنية « بحث المطالب » على النحو التالي :



بنية اللغة ← تؤدي إلى ← بنية الدرس النحوي

وتكشف بنية الدرس النحوي بهذه الكيفية ، التي يفصح عنها الشكل التوضيحي ، عن عدد كبير من العلامات التي تتعاضد معا على إبراز جانب أساسي من جوانب تجديده ذلك الدرس لدى جرمانوس ، اعتمادا على إعادته تنظيم المادة اللغوية والنحوية القديمة أو الموروثة . ففي المقدمة التي تحتل الصفحات الأربع الأولى من « بحث المطالب » وتحمل عنوان « في أحوال الحروف الهجائية والحركات العربية » يبدأ جرمانوس بتعريف الحرف وكميته ، ويحدد الحرف من الناحية الاصطلاحية بأنه (صوت يعتمد على مقطع من مقاطع الحلق واللسان والشفتين) (٢٤) ، ثم يحدد الحروف الهجائية العربية ، ويتبع ذلك بتقديم تعريف لمخرج الحرف وكيفية التعرف عليه على النحو التالي : (إن شئت أن تعرف مخرج الحرف فسكنه ثم أدخل عليه الهمزة في أوله وأصغ إليه فحيث ينقطع صوته فهناك يكون مخرجه) (٢٥) .

(٢٤) جرمانوس فرحات : بحث المطالب ، طبعة مالطة عام ١٨٣٦ ، ص ١ .

(٢٥) جرمانوس فرحات : بحث المطالب ، المرجع السابق ، ص ٢ .

فإذا كان جرمانوس قد ساوى بين الحرف والصوت دون أن يعنى بتصنيف الأصوات المختلفة تبعاً لخارجها ، فإنه قد استمد طريقة تحديد مخرج الصوت من التراث اللغوى العربى السابق عليه ، ولعل توجهه بكتابه إلى طلاب يكتبون عنه ويتعلمون منه يفسر تكرار اعتماده على مصطلح الحرف ، وهو حين يفرق بين الحروف الشمسية والحروف القمرية يجعل من هذا التفريق إيذاناً بانتقاله إلى معالجة الحركات العربية بوصفها أصواتاً إضافية تصاحب نطق الحروف أو الأصوات العربية الأساسية ، وقد عرف الحركة لفة واصطلاحاً ، وهى عنده اصطلاحاً (ما به يتقوم الحرف على النطق) ^(٢٦) ، وأتبع ذلك بتحديد ألقاب الحركات ممیزاً بين قسمين منها : قسم يستعمل فى البناء وهو التصريف ، وألقابه : الضم والفتح والكسر والسكون ، وقسم يستعمل فى الإعراب وهو النحو وألقاب الإعراب عنده هى : الرفع والنصب والخفض والحزم ، وبذلك میز بین جانبین صوتیین مختلفین یتعلق أولهما ببنية الكلمة ، یتصل ثانيهما بضبط الحرف الأخير فى بنية الكلمة ضبطاً يكشف عن الموقع الإعرابى والوظيفة النحوية للكلمة فى الجملة .

وقد ختم المقدمة بتحديد التهجى الذى عنى به (تعدید الحروف بأسمائها مع حركاتها) ^(٢٧) لیجمع بذلك بین الحرف بوصفه تمثیلاً كتابياً للصوت ، والحركة المصاحبة له بوصفها علامة على تغییر دلالات الحرف فى بنية الكلمة ، ومن ثم تغییر دلالات الكلمة .

(٢٦) جرمانوس فرحات : بحث المطالب ، المرجع السابق ، ص ٣ .

(٢٧) جرمانوس فرحات : بحث المطالب ، المرجع السابق ، ص ٤ .

إن بدء الدرس النحوي لدى جرمانوس بمجموعة من الأسس الصوتية التي تفيد في تحديد النطق السليم والكتابة الصحيحة وبيان أساس تحديد مخارج الحروف ، يمثل مدخلا جديدا في الدرس النحوي ، إذ لا نجد له نظيرا في كتب المختصرات الصرفية والنحوية التراثية على اختلاف اتجاهاتها ، بل كانت هذه الكتب حين تعالج الجوانب الصوتية تعالجها في ثنايا دراستها للمسائل الصرفية والنحوية .

ويمثل هذا جانبا أساسيا من الجوانب التي التفت إليها شوقي ضيف - بعد جرمانوس بما يصل إلى ثلاثة قرون إلا قليلا - سواء في محاولته لتجديد النحو أو محاولته لتيسير النحو التعليمي ؛ ففي القسم الأول من « تجديد النحو » وضع ضيف في فاتحته [بعض قواعد ضرورية لخدمة النطق السليم بكلم العربية وحروفها] ^(٢٨) ، وتناول فيه عددا من الظواهر الصوتية كبعض صفات الحروف والحركات وظواهر اللين والتشديد والتنوين ، والمد والإدغام ثم ألف الرصل وألف القطع ^(٢٩) ، فضيف إذن قد تناول الجوانب الصوتية التي تناولها جرمانوس في مقدمة كتابه ، ثم زاد عليها عددا من الظواهر الصوتية التي رأى أهميتها في تعليم النشء النطق الصحيح بوصفه مقدمة لدرس النحو العربي .

وإذا كان ضيف بمسعاها ذاك يتفق مع جرمانوس فرحات في أن معرفة دارس النحو العربي عددا من الأسس الصوتية العامة وسيلة أساسية تمكن

(٢٨) شوقي ضيف : تجديد النحو ، دار المعارف ١٩٨٢ ، ص ٤١ .

(٢٩) انظر شوقي ضيف : تجديد النحو ، مرجع سابق ، ص ٤٢ ، ص - ص ٤٩ - ٥٨ ، حيث يقدم ضيف هذه القواعد المشار إليها في المتن ، وانظر : شوقي ضيف : تيسير النحو التعليمي ، مرجع سابق ، ص ٦٣ .

الدارس من إتقان درسه العربية - فإن هناك أمرين يهرقان بين ضيف وجرمانوس في هذا الجانب ، يتمثل أولهما في أن تصور ضيف ضرورة بدء الدراسة النحوية بدرس بعض الأسس والجوانب الصوتية ليس هدفه مجرد مساعدة الدارس على النطق الصحيح فقط ، بل هناك - فيما يرى - ضرورة عملية تتمثل في انفصال تعليم النحو العربي في العصر الحديث عن تعلم تجويد القرآن (٣٠) .

وأما ثاني هذين الأمرين فيتمثل في أن ثمة احتمالاً كبيراً أن يكون ابتداء جرمانوس « نظامه » في تعليم النحو العربي بدراسته بعض الجوانب الصوتية راجعاً إلى تأثيره بكتب تعليم اللغات في إطار الحضارة الأوروبية ، وبطريقة تصنيف المستشرقين لمادة النحو العربي أو قواعد العربية في إطار تعليمهم اللغة العربية (٣١) . (وسنتوقف بالتفصيل أمام ذلك الأمر في موضع تال) .

(٣٠) انظر : شوقي ضيف : تجديد النحو ، مرجع سابق ، ص - ص ٤١ - ٤٢ .
(٣١) يبدو من مراجعة عدد من كتب قواعد اللغة العربية التي ألفها المستشرقون أن هناك نمطاً تأليفياً سائداً فيها ، يقوم على البدء بالدراسة الصوتية المرحلة ، تتبعها الدراسة الصرفية ثم النحوية ، ومثل هنا بكتاب بلاشير :

- Blachere et Gaudet : Grammaire de L'Arab Classique, Paris 1952 .

فهو ينقسم إلى جزئين يعالج أولهما الصرف أو بنية الكلمة ، بينما يعالج الثاني النحو ، أو بنية الجملة ، ويبدأ القسم الأول بتناول الأصوات العربية ، ثم يدرس الضمائر الشخصية ، ويتبعها بدراسة صيغ الأفعال (أى الماضى والمضارع والأمر) ثم ينتقل إلى دراسة صيغ الأفعال المشتقة من الثلاثى ، ويتبع ذلك بدراسة الأسماء وصيغها ، ثم يتناول تصريف الأفعال مع الضمائر ، ثم يتناول صيغ الجمع ، ويكمل هذا الجزء بدراسة مختلف المسائل التي تدور في إطار بنية الكلمة المفردة وصيغها (مثل مسائل التعريف والتذكير . وأسماء الإشارة والظروف وأدوات النفي) .

وأما الجزء الثانى فيتناول مسائل النحو أو التركيب وقضاياها ، فيبدأ بتناول مسائل الفعل ، ثم ينتقل إلى تناول بنية العبارات البسيطة ويقصد دراسة تركيب الجملة الاسمية ، ثم الجملة الفعلية : ودراسة النفي والاستثناء ويتبع ذلك بتناول تركيب وبنية العبارات المعقدة كالجمل القائمة على الروابط (مثل حتى - الفاء - الواو) والجمل الشرطية .

ويتجلى المبدأ الأساسي الحاكم لبنية هذا الكتاب في ظاهرة أخرى هي تناول المؤلف للصرف أو التصريف ، فقد خصص جرمانوس فرحات الكتاب الأول من « بحث المطالب » لدراسة تصريف الأفعال ، وخصص الكتاب الثاني لتصريف الأسماء ، حيث درس في هذين الكتابين كل ما يتعلق بمسائل تصريف الأسماء والأفعال ، سواء ما يتصل بالصيغ والمشتقات المختلفة أو ما يتصل بالتغيرات الصوتية والبنائية التي تتعرض لها تلك الصيغ (٣٢) .

وإذا كانت القضايا التي عالجها جرمانوس في هذين الكتابين هي قضايا بنية الكلمة المفردة ، فإن وضع كتابي تصريف الأفعال والأسماء في موضع يتوسط بين المقدمة المتصلة ببعض مسائل الدراسة الصوتية والكتاب الثالث الذي يقدم قواعد النحو ، إنما يؤكد أصالة المبدأ الأساسي الذي استند إليه جرمانوس في تنظيم المجالات الأساسية للدرس النحوي عنده ، وهو مبدأ الانتقال من الوحدات البسيطة (= الأصوات) إلى الوحدات المركبة (= الكلمات) ثم الوحدات الأكثر تركيباً (= الجمل) .

وقد علل جرمانوس تقديمه الصرف / التصريف على النحو بقوله إن التصريف (له التقدم في التعلم على النحو لأن الذي لا يعرف المفردات لا يعرف الإعراب الذي هو تغيير في أواخرها) (٣٣) .

ويعد ذلك دالاً من دوال التجديد في بنية التأليف عند جرمانوس ، وهذا

(٣٢) انظر : بحث المطالب : ص - ص ٥ - ٧١ ، ٧٢ - ١٠٤ ، حيث يعرض جرمانوس تصريف الأفعال ثم تصريف الأسماء .

(٣٣) بحث المطالب في علم العربية ، مع حواش عليه لمصححه المعلم سعيد الخوري الشرتوني ، الطبعة الرابعة ، مطبعة المرسلين اليسوعيين ، بيروت ١٨٩٥ ، ص ١١ .

ما تكشف عنه مقارنة جرمانوس بالمؤلفات التراثية - لا سيما المختصرات النحوية والصرفية - ففي كتاب « الجمل في النحو » للزجاجي (ت ٣٤٠ هـ) نجد أنه (بعد أن بدأ ببعض التقسيمات الصرفية تناول مجموعة من الأبواب النحوية ، يظهر في ترتيبها احتفاله بالعامل ، وشغلت هذه الأبواب الجزأين الأولين إضافة إلى بعض الجزء الثالث من الكتاب ، لكنها لم تخل من الإشارات الصوتية أو الصرفية ، ثم أتبعها طائفة من الأبواب الصرفية كالتصغير والنسب وألف الوصل والقطع ، والمؤنث والمذكر والأفعال المهموزة ، إضافة إلى أبواب في الهجاء وأحكام الهمزة في الخط ، واحتلت هذه أكثر الجزء الثالث وجانباً من الجزء الرابع ، وعاد في الجزء الأخير من الكتاب إلى عرض أبواب نحوية تدور في معظمها حول الأدوات واستخداماتها ، وأبواب الحكاية ثم عرض بقية الأبواب الصرفية كجمع التكسير وأبنية المصادر والأسماء والأفعال ، وختم كتابه بأبواب في الأصوات اللغوية كالإمالة والإدغام ، والإبدال ، والإعلال ، والحروف المجهورة والمهموسة) (٣٤)

وبينما كان ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) يقصر كتابه « اللمع في العربية » على تقديم معظم الأبواب النحوية فإنه قد عالج ثلاثة من أبواب الصرف وهي النسب والتصغير والإمالة ، ورغم أنه قدم هذه الأبواب الصرفية في آخر كتابه فإنه (ذكر خلالها بعض أبواب النحو) (٣٥) ، متابعا في هذا بعض أصحاب المطولات النحوية كسيبويه وغيره من النحاة العرب القدامى .

(٣٤) مقدمة على توفيق الحمد لكتاب الزجاجي : الجمل في النحو ، الطبعة الأولى : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، دار الأمل ، الأردن ، ١٩٨٤ ، ص - ص ١٠ - ٢١ .

(٣٥) حسين محمد محمد شرف : مقدمة تحقيقه لكتاب ابن جنى : اللمع في العربية ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص ٤٨ .

ولعل الأمر اللافت للانتباه - فى سياق مسألة العلاقة بين التصريف والنحو - أن ابن جنى قد حد فى كتابه « النصف » التصريف والنحو حدين دقيقين ، وبنى على ذلك تصوره لما يجب أن تبتدى به الدراسة اللغوية ، ولكنه لما وجد أن نظام التأليف فى كتب النحاة يخالف تصوره « المنطقى » سعى إلى تبرير هذه المخالفة ، وهو يقول فى نص « ناصع » الدلالة إن (التصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة ، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة (.....) وإذا كان كذلك ، فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغى أن يكون أصلاً لمعرفة حاله المتنقلة ، إلا أن هذا الضرب من العلم لما كان عويصاً بدئ قبله بمعرفة النحو ، ثم جئ به بعد ليكون الارتياض فى النحو موطئاً للدخول فيه ، ومعينا على معرفة أغراضه ومعانيه) (٣٦) .

وإذا كان ابن جنى لم يلتزم مبدأه ذلك فى كتابه « اللمع » فإن كتاب « ارتشاف الضرب من لسان العرب » لأبى حيان الأندلسى (ت ٧٤٥ هـ) يمثل النموذج الوحيد - فيما نعلم - فى التراث النحوى العربى الذى يؤسس للدرس النحوى بنية تقدم الدرس الصوتى ، وتتبعه بالدرس الصرفى ، وتتلوه بالدرس التركيبى ، فقد بدأ درسه بتحديد مخارج الحروف ، والصفات الصوتية للحروف ، ثم انتقل إلى دراسة « أحكام الكلم قبل التركيب »

(٣٦) ابن جنى : النصف ، شرح كتاب التصريف للمازنى ، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي ، ١٩٥٤ ، الجزء الأول ، ص ٤ - ٥ .

ويقصد بها موضوعات التصريف وقضاياها ، على حين جعل من الدرس النحوى خطوة تالية تقوم على تحليل أحكام الكلم حالة التركيب (٣٧) .

ولكن « ارتشاف الضرب » واحد من كتب المطولات النحوية ، ولذا كان مؤلفه يكثر من عرض الآراء المختلفة فى مسائل التصريف والنحو ، كما كان يكثر من الشواهد والأمثلة والتفصيلات ، ولم يتح لهذا النموذج التأليفى أن يؤثر - فيما نعلم - فى النحاة التالين لأبى حيان الأندلسى .

ويمثل صنيع جرمانوس فى تقديمه درس الصرف على درس النحو تحقيقا لأصل المبدأ « التنظيمى » الذى شرحه ابن جنى ، كما كان صنيع فرحات جرمانوس استجابة لحاجات عملية لا تتصل بالنحو فقط ، بل تتصل أيضا بالبعد الأساسى فى عمليات الاتصال اللغوى ، شفافيا كان أم كتابيا ، وهو تحقيق التواصل ونقل الأفكار والخبرات بين طرفى الاتصال ، مما يجعل من معرفة قواعد التصريف وأساسه أداة ضرورية للكشف عن معانى الكلمات فى المعاجم ، ومن ثم ييسر إمكانية التواصل اللغوى (وفهم النصوص العربية فى مستوياتها المختلفة) (٣٨) .

إن تقديم الدرس الصرفى على الدرس النحوى « بمعناه الضيق » يجعل من أولهما خطوة مؤسسة لثانيهما ، دون أن ينفى مع هذا أنهما يشكلان (كلا

(٣٧) انظر : ارتشاف الضرب من لسان العرب ، تأليف أبى حيان الأندلسى ، تحقيق وشرح ودراسة رجب عثمان محمد ، الطبعة الأولى ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ١٩٩٨ .

(٣٨) محمد عيد : الصرف الواضح لبنية الكلمات العربية ، مكتبة الشباب ، القاهرة ١٩٩٣ .
الجزء الأول ، ص ٨ .

متكاملا وإن كان ذا جانبين أو مرحلتين (٣٩) .

ومن اللافت للانتباه أن محاولات تجديد الدرس النحوي العربي في العصر الحديث لم يلتفت أصحابها إلى ضرورة تقديم الدراسة الصرفية على الدراسة النحوية إلا في النصف الثاني من القرن العشرين (٤٠) ، وهذا ما يبدو بوضوح لدى أنيس فريجة في الخمسينيات ، ولدى شوقي ضيف في الثمانينيات ، فأنيس فريجة ينطلق من مبدأ مؤداه أن (قواعد أية لغة كانت وحدة تامة لا تتجزأ ، ويجب أن تدرس كوحدة ، وهذا ما يفرضه علينا منطق اللغة ذاتها) (٤١) ، ويؤسس على ذلك المبدأ مبدأ آخر يصفه بأنه التحليل العلمي للغة ، وهو المبدأ الكاشف عن تشكل اللغة من أربع مراتب - حسب مصطلحات فريجة - تتألف « منطقيا » من البسيط (= مرتبة الفونيمات) فالمركب (= مرتبة المقاطع) فالأكثر تركيبا (= مرتبة الكلام المفيد) ، فمرتبة الأساليب التعبيرية الفنية (ويؤكد أن هذا أدق تحليل علمي لأية لغة ، وعلى هذه المراتب يجب أن يجرى تدريسها) (٤٢) ووضع (القواعد في ترتيب متناسق متصل يتمشى وروح اللغة) (٤٣) .

(٣٩) كمال محمد بشر : دراسات في علم اللغة ، القسم الثاني ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ١٩٧١ ، ص ٣١ .

(٤٠) يمكن أن نجد نموذجا لمناهجة جرمانوس فرحات في تقديم الدرس الصرفي على الدرس النحوي في كتاب التمرنة في الأصول النحوية الذي أصدره يوسف داود الموصلي عام ١٨٦٩ ، وهو يقع في جزأين يتناول المؤلف في أولهما التصريف ، بينما يتناول النحو في ثانيهما ، انظر الكتاب ، طبع دير الآباء الدرمينكيين بالموصل ، الجزء الأول ١٨٧٥ ، الجزء الثاني ١٨٧٦ .

(٤١) أنيس فريجة : في اللغة العربية وبعض مشكلاتها ، دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٨٠ ، ص ٦٦ والاقتباس من فصل عنوانه : هذا الصرف وهذا النحو ، وقد نشره فريجة للمرة الأولى في مجلة الأبحاث ، الجزء الأول ، آذار ١٩٥٥ .

(٤٢) أنيس فريجة : المرجع السابق ، ص ٦٦ .

(٤٣) أنيس فريجة : نظريات في اللغة ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ١٦٦ ، والاقتباس من فصل عنوانه « تيسير تعليم العربية » ، ونشير إلى أن فريجة قد طبق دعوته تلك في مؤلفاته الخاصة بتعليم العربية منذ منتصف الخمسينيات ، ومنها : نحو عربية ميسرة ١٩٥٥ ، وتبسيط قواعد اللغة العربية على أسس جديدة ١٩٥٩ .

و حين تقدم شوقي ضيف بمحاولته لتجديد النحو وضع مسائل تصنيف الأفعال فى القسم الأول من أقسام كتابه ، بينما وضع مسائل تصنيف الأسماء فى القسم الثانى من أقسام كتابه ، حيث احتلت هذه المسائل نصف صفحات ذلك القسم^(٤٤) ، وإن كان الأمر اللافت للانتباه هنا أن شوقي ضيف لم يطرح مبدأ نظرياً يؤسس به لتقديم الدرس الصرفى على الدرس النحوى ، بينما قرر جرمانوس ذلك المبدأ بدقة منذ بداية القرن الثامن عشر ، الأمر الذى يمثل دالاً من دوال تجديد الدرس النحوى لديه .

ومن اللافت للانتباه أن جمع جرمانوس بين الدرس الصوتى الموجز والدرسين الصرفى والنحوى يمثل علامة أخرى دالة على تجديده الدرس النحوى ؛ إذ يبدو ذلك الصنيع إحياء للمعنى الأصلي للنحو فى التراث العربى ، ذلك المعنى المطابق لعلم قواعد العربية بجوانبه الثلاثة : الأصوات والأبنية والتراكيب ، وهذا المعنى القار لدى سيبويه (ت ١٨٠ هـ) فى « الكتاب » والمبرد (ت ٢٨٥ هـ) فى « المقتضب » والزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) فى « المفصل » ، ويختلف هذا المعنى عن المعنى الذى حدده متأخرو النحاة - ابتداء من الأشمونى (ت ٩٠٠ هـ) وغيره - للنحو ، فقد قصره على قوانين الإعراب والبناء^(٤٥) .

(٢ / ١ / ٢) تنظيم بعض أبواب النحو وفق منطق مبتكر

تصل العلامة الثانية المشكلة للبنية الكبرى فى « بحث المطالب » بطريقة

(٤٤) انظر : شوقي ضيف : تجديد النحو : مرجع سابق ، ص - ص ٥٩ - ٨١ ، حيث يعرض ضيف أقسام الفعل وتصنيفه ، ص - ص ٨٥ - ١٠٨ ، يعرض أقسام الاسم وتصنيفه . ص - ص ١٣٢ - ١٣٤ حيث يعرض مسألتى التصغير والنسب .
(٤٥) حول معانى النحو فى التراث النحوى العربى انظر : دراسة عبد السوارث ميروك معيد : فى إصلاح النحو العربى ، دراسة نقدية ، الطبعة الأولى ، دار القلم ، الكويت ١٩٨٥ . ص - ص ١ - ٧ .

تنظيم بعض أبواب المادة النحوية من حيث تتابعها أو وضعها وفق منطق مختلف عن « المناطق » التى سادت كثيراً من كتب المختصرات النحوية . واللافت للانتباه أن عدداً من كتب المختصرات النحوية التراثية كان منطق تنظيم الأبواب والموضوعات فيها يقوم على توالى الأبواب أو الموضوعات المتتابعة دون منطق رابط أو سببى يصل وصلاً منطقياً ومتيناً بين الأبواب أو الموضوعات المتتابعة ، ويتجلى ذلك فى تداخل الموضوعات النحوية والصرفية والصوتية فى عدد من الأبواب المتتابعة من ناحية ، وتوالى الموضوعات النحوية (بالمعنى الضيق لمصطلح النحو) دون أن يكون ذلك التوالى قائماً على صلة منطقية تربط بينها ، من ناحية ثانية . وهاتان علامتان دالتان على « اضطراب » هذا الجانب (أعنى جانب ترتيب موضوعات المادة النحوية أو تنظيمها) بوصفه جانباً من جوانب البنية الكبرى فى نمط التأليف ، وتجلى هذه الظاهرة بوضوح فى عدد من المختصرات النحوية ، منها : كتاب « الجمل » للزجاجى ، وكتاب « التوطئة » للشلوبينى (ت ٦٤٥ هـ) وهى أكثر وضوحاً فى الكتاب الثانى (٤٦) .

(٤٦) انظر : كتاب الجمل للزجاجى ، مرجع سابق ، وانظر أيضاً : الشلوبينى (أبو على عمر بن محمد الأشبلى) : التوطئة ، دراسة وتحقيق يوسف أحمد المطوع ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ١٩٨١ ، وفى « التوطئة » يجد القارئ بعد أبواب الكلام والعرب والمبنى وعلامات الإعراب أن الباب التالى لها هو باب الأفعال بالنسبة للزمان ، يليه باب الجوازم الذى يصل ببعض أنماط الأفعال ، ويليه باب المثنى الذى يعد دراسة نحوية وصرفية ، ويعقبه باب الفاعل ، ثم باب المفعول فباب الموصولات الاسمية (= الأسماء الموصولة) ، ويليه باب النعت (الذى يعد من التوابع) ويليه بابا المضممر والعلم ، ثم ينتقل المؤلف إلى تناول بابين من أنواع التوابع وهما بابا التوكيد والبدل ، ثم يعود لتناول الفعل فيقدم بابين أحدهما للفعل المتعدى والفعل غير المتعدى ، وثانيهما لتعدى الفعل ، ثم يتناول الظرف فالحال فى بابين متوالين لينتقل بعد ذلك إلى تناول المبتدأ أو الخبر وبعض الأبواب التى تتصل بهما .

وإذا كان بروز الظاهرة السابقة في عدد من كتب اختصرات النحوية التراثية قد يرد إلى تصور مؤلفيها عدم حاجة قراء كتبهم إلى بنية تأليفية قائمة على منطق متماسك ، فإن اللافت أن لغويا وبلاغيا تراثيا كعبد القاهر الجرجاني قد أسس القسم الأكبر من كتابه « كتاب الجمل في النحو » على فكرة العامل الظاهر اللفظي مميزا بين عوامل الأفعال وعوامل الحروف وعوامل الأسماء (٤٧) .

وينهض صنيع عبد القاهر ذاك دالا على مسعاه إلى تأسيس توالى عدد من الأبواب أو الموضوعات النحوية على منطق متماسك ، ويبدو أن هذا المسمى دال من دوال التجديد في بنية التأليف في عدد من المحاولات الحديثة لتجديد الدرس النحوي العربي ، وهذا ما نستطيع أن نتبينه بوضوح من الوقوف أمام عدد من نماذجه في « بحث الطالب » « والتحفة المكتبية » « وتجديد النحو » وهي نماذج النواسخ والمنصوبات والمرفوعات .

ولعل ما تجب الإشارة إليه بداية أن كلا من جرمانوس فرحات ورفاعة الطهطاوى لم يصرحا بأى أساس من الأسس التي دفعتهما إلى تنظيم بعض أبواب النحو أو موضوعاته بالكليفية التي اتبعها ، مما يعنى أن قارئ كتابيهما عليه السعى لاستنباط تلك الأسس ، على حين وضع شوقي ضيف لتجديده الدرس النحوي عدة أسس يهمنها منها ، في هذا السياق ، مبدأ إعادة تنسيق

(٤٧) انظر : عبد القاهر الجرجاني: كتاب الجمل في النحو ، شرح ودراسة وتحقيق بسرى عبد الغنى عبد الله ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٠ ، ص - ص ٧٥ - ٩٥ .

أبواب النحو الذى جملة يدعو إلى حذف بعض الأبواب ، بمعنى عدم استقلالها ، وضم بعض الأبواب إلى أبواب أخرى لصلة بينها محاولا أن يعزل دعوته تلك فى دراسته لعدد من أبواب النحو (٤٨) .

ويمكن عرض موضوعات النواسخ فى « بحث المطالب » و « الصحيفة المكتبية » و « تجديد النحو » مع الحفاظ على طريقة الترتيب داخل كل منها إذ قد تحمل تلك الطريقة دلالة ما (٤٩) .

جدول (١) النواسخ

م	بحث المطالب	الصحيفة المكتبية	تجديد النحو
١	الأفعال الناقصة	كان وأخواتها جزء من المرفوعات	وضعت فى باب الحال .
٢	أفعال المقاربة	كاد وأخواتها جزء من المرفوعات .	كاد وأخواتها جزء من قسم « مفعول به واحد » فى إطار باب المفعول به .
٣	ما ولا ولات المشبهات بليس	الحروف المشبهة بليس جزء من باب المرفوعات .	حذفت حذفًا واجبا دون ردها لأبواب أخرى فى النحو .
٤	إن وأخواتها (الحروف المشبهة بالفعل)	اسم إن جزء من المنصوبات وخبرها جزء من المرفوعات .	إن وأخواتها جزء من المرفوعات .
٥	لا النافية للجنس	لا النافية للجنس جزء من المنصوبات .	لا النافية للجنس جزء من المرفوعات .
٦	أفعال القلوب (ومنها ما ينصب مفعولين ، ومنها ما ينصب ثلاثة مفاعيل)	ما يتعدى إلى مفعولين أو ثلاثة مفاعيل جزء من المفعول به فى إطار المنصوبات .	مثل التحفة المكتبية .

(٤٨) انظر : خوقى ضيف : تجديد النحو ، مرجع سابق ، ص - ص ٢٣ - ١١ .

(٤٩) انظر : موضوعات النواسخ فى المصادر الثلاثة على النحو التالى :

■ بحث المطالب ص - ص ١٤٤ - ١٦٠ .

■ الصحيفة المكتبية ص - ص ١٤٩ - ١٥٣ ، ١٩٢ - ١٩٧ ، ٢٣٦ - ٢٤٥ ، ص ٤١٨

على التوالى .

■ تجديد النحو ص - ص ١٤٥ - ١٤٩ ، ١٥٠ - ١٥٢ ، ١٦٥ - ١٦٦ .

إن تأمل هذا الجدول يكشف عن النتائج التالية :

أ - جعل جرمانوس فريحات من الموضوعات التي يضمها الجدول موضوعا واحدا سماه النواسخ وخصص له قسما بنفس العنوان ، استنادا إلى أن هذه النواسخ [تدخل على المبتدأ والخبر وتغيرهما لفظا ومعنى ، فالتغيير اللفظي هو نقل الإعراب من حال إلى حال ، والتغيير المعنوي هو نقل الحدوث من زمن إلى زمن ، ومن جواز إلى وجوب ، وغير ذلك] (٥٠) .

وتأمل هذا التعليل يكشف عن أن منطق الجميع بين هذه النواسخ يقوم عنده على سببين هما : تشابه هذه العوامل أو اشتراكها في وظيفة واحدة هي النسخ ، ثم دخولها على نمط واحد من أنماط الجمل وهو نمط الجملة الاسمية . مما يشير إلى أن أساس ضم الأبواب الستة معا في إطار النواسخ يتمثل في فكرة العامل ونمط الجملة معا .

ب - يبدو وضع الطهطاوي للنواسخ قائما على منطق الحالة الإعرابية ، ولذا وضع الأبواب / الموضوعات الأربعة الأولى من النواسخ في إطار المرفوعات على حين وضع البابين الأخيرين منها في إطار المنصوبات . ولكن مشكلة تقسيم الطهطاوي تتمثل فيما أدي إليه من فصل عناصر بعض أنماط الجملة الواحدة ومعالجتها في أبواب مختلفة ، فاسم كان وأخواتها واسم كاد وأخواتها عولجا في باب المرفوعات ، في حين عولج خبرهما في باب المنصوبات ، وذلك على العكس من إن وأخواتها التي عولج اسمها في باب المنصوبات أما خبرها فعولج في باب المرفوعات .

ج - تبدو محاولة شوقي ضيف في تنظيم هذه الأبواب ذات دلالتين ؛ أولاهما تشير إلى تشابهه مع الطهطاوي ، فقد وضع أفعال القلوب في إطار المفعول به في قسم المنصوبات ، بينما اختلف عنه في معالجته « كاد

(٥٠) بحث الطالب : ص ١٤٤ .

وأخواتها « في إطار المفعول به الواحد في قسم المنصوبات ، وتناول « إن وأخواتها ، « ولا النافية للجنس » في إطار باب المرفوعات .

وأما ثاني الدالتين فتتمثل في نقل شوقي ضيف باب الأفعال الناقصة إلى باب الحال أخذا برأى الكوفيين في النظر إلى اسم « كان وأخواتها » باعتباره فاعلا ، بينما عدوا خبرها حالا ، كما رأى ضيف أن باب « ما ولا ولات العاملات عمل ليس » باب واجب الحذف دون حاجة إلى رده لباب آخر من أبواب النحوي^(٥١) . ولعل تلك الدلالة الثانية تشير إلى جرأة محاولة ضيف في تجديد النحو العربي .

أما باب المنصوبات فيمكن مقارنته في المصادر الثلاثة^(٥٢) على النحو التالي :
ويكشف تأمل هذا الجدول عن النتائج التالية :

جدول (٢) المنصوبات

المنصوبات	المنصوبات	المنصوبات	المنصوبات
المفعول به	المفعول به	المفعول المطلق	١
المفعول المطلق	المفعول المطلق	المفعول به	٢
المفعول فيه	ظرف المكان وظرف الزمان	المفعول فيه	٣
المفعول له	الحال	المفعول له	٤
المفعول معه	التمييز	المفعول معه	٥
الاستثناء	المستثنى	المنادى	٦
الحال	اسم لا النافية للجنس	الاستثناء	٧
التمييز	المنادى	الحال	٨
النداء	خبر كان وأخواتها واسم إن	التمييز	٩
ضم أفعال التفضيل إلى التمييز	المفعول من أجله	أفعال التفضيل	١٠
ضم الكنايات إلى باب التمييز	المفعول معه	الكنايات	١١
عاجله موضوعا مستقلا .	النعته	اسم العدد	١٢
موضوع مستقل .	الفعل المضارع	التحذير والإغراء	١٣
وضع ضيف التحذير والإغراء في إطار باب الذكر والحذف .			

(٥١) شوقي ضيف : تجديد النحو ص - ص ١١ - ١٤ ، حيث يتناول مسألة كان وأخواتها ، ص - ص ١٤ - ١٥ حيث يتناول مسألة إلا ولات المشبهات بليس .
(٥٢) انظر : باب المنصوبات في المصادر التالية : بحث المطالب ص ١٦٠ - ١٩١ ، التحفة المكنية ص - ص ١٨١ - ٢٧٩ ، تجديد النحو ص - ص ١٦٣ - ١٩٧ .

أ - يستند وضع جرمانوس للأبواب التي يضمها قسم المنصوبات عنده إلى فكرة العامل في النصب ، فما يجمع هذه الأبواب معا هو كونها صيغا لازمة النصب كما أنها - فيما عدا الكنيات - أسماء ، على حين ضم قسم المنصوبات عند الطهطاوى الفعل المضارع المنصوب

ب - يستند ترتيب أبواب المنصوبات لدى جرمانوس فرحات إلى تمييزه بين نمطين منهما وهما : المنصوبات الأصلية وتشمل المفعولات الخمسة ثم المنصوبات الملحققة بالأصل وتشمل الأبواب الثمانية التي يضمها هذا القسم ، فالترتيب لديه قائم على فكرة الأصل والفرع ، مع تقديم الأصل وإتباع الفرع له ^(٥٣) ويبدو أن هذه الفكرة لم تكن واضحة في تصور الطهطاوى لترتيب المنصوبات حيث تناثرت أنماط المفعولات لديه وسط أنماط المنصوبات الأخرى .

ويبدو لافتا للانتباه أن يستمد جرمانوس تمييزه بين نمطين من المنصوبات من عدد من النحاة العرب القروسطيين كالزمخشري في « الأنموذج » وابن هشام في « شذور الذهب » ؛ فكلاهما وضعا المفاعيل الخمسة في إطار المنصوبات الأصلية ، في حين جعلوا من المنصوبات الأخرى منصوبات فرعية تحمل على الأصل وتلحق به ^(٥٤) .

(٥٣) قد يبدو هذا الترتيب قريبا من ترتيب ابن جنى في اللمع لما أسماه « معرفة الأسماء المنصوبة » حيث قسمها إلى ضربين هما مفعول وشبيه بالمفعول ، وعلى حين شمل الضرب الأول المفاعيل الخمسة ، فقد شمل الضرب الثاني : الحال والتمييز والاستثناء ، وأسماء إن وأخواتها ، ثم أخبار كان وأخواتها ، والملاحظ أن الاختلاف الشديد بين ترتيبى جرمانوس وابن جنى يظهر في الضرب الثانى خاصة . انظر اللمع . مرجع سابق ص ١٣٩ - ١٥٤ .

(٥٤) انظر : الأردبيلي (جمال الدين محمد بن عبد العنى) . شرح الأنموذج فى النحو للزمخشري . حققه وعلق عليه حسنى عبد الجليل . مكتبة الآداب ١٩٩٠ ص .

وانظر أيضا : ابن هشام الأنصارى : شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب تحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد . الطبعة العاشرة . المكتبة التجارية الكبرى : القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٢١٣ .

وعلى الرغم من ذلك فقد عدل جرمانوس من وضع بعض الأنماط المنصوبة التى وضعها الزمخشري وابن هشام فى إطار المنصوبات الفرعية ؛ إذ استبعد اسم إن واسم لا النافية ، وخبر كان وأخواتها ، وخبر ما ولات اللتين بمعنى ليس ، والفعل المضارع المسبوق بناصب من النواصب ، من ذلك الإطار ، على حين حافظ الطهطاوى على وضعها فى إطار المنصوبات (٥٥) .

ج - يلتقى شوقى ضيف مع جرمانوس فى تقديمه المفعولات الخمسة على الأبواب الأخرى فى قسم المنصوبات ، وإذا كان ضيف قد التقى بالطهطاوى فى تقديم المفعول به على بقية المفعولات ، ووضعه على رأس قائمة المنصوبات فإن تقديم جرمانوس فرحات للمفعول المطلق على المفعول به يمكن فهمه بوصفه ناتجا لتقديمه المصدر على الفعل فى الاشتقاق (٥٦) مما يتطلب تقديم المفعول المطلق - على غيره من المفاعيل - لكونه صيغة المصدر أو ما ينوب عنها .

د - يمكن وصف نمط تنظيم باب المنصوبات فى « بحث المطالب » بأنه يبدو أكثر دقة من مثيله فى « التحفة المكتبية » ، فهو - فضلا عن النتائج السابقة - يتلافى ما يبدو فى « التحفة المكتبية » من معالجة جزء من جملة « كان » وجزء من جملة « إن » فى باب المنصوبات ، ووضع حالة من حالات النعت فى ذلك الباب .

(٥٥) انظر شرح الأنموذج ، المرجع السابق ، ص - ص ٥٧ - ٦٥ ، شذور الذهب ، المرجع السابق ، ص - ص ٢٦٧ - ٣١٦ ، وقارنها ببحث المطالب ، ص - ص ١٦٠ - ١٩١ .

(٥٦) انظر . بحث المطالب ، ص ٧ ، ونشير إلى أن الزمخشري قد قدم فى « الأنموذج » المفعول المطلق على غيره من المفاعيل .

إن كل النتائج التي تكشف عنها مقارنة بابي المنصوبات والنواسخ في بحث المطالب بالتحفة المكتبية تتجلى معظمها أيضا في مقارنة قسم المرفوعات بهما (٥٧).

إن النتيجة الأساسية التي تتبدى من دراسة طريقة جرمانوس فرحات في تنظيم بعض الأبواب النحوية مقارنة بطريقة الطهطاوى تشير إلى أن تنظيم المادة النحوية في أقسام يشير إلى أن وضع عدد من الأبواب متواليه تواليا قائما على منطق سببي أو متماسك يمثل فارقا دالا بين « بحث المطالب » و « التحفة المكتبية ».

وتمثل هذه النتيجة المرتبطة بكيفية ترتيب عدد من الأبواب النحوية لدى جرمانوس دالا على منهجية حديثة تسعى إلى التغلب على ما ساد كثيرا من المؤلفات النحوية التراثية - سواء أكانت مطولات أم مختصرات - من اضطراب في تنظيم المادة النحوية (٥٨).

وهذه النتيجة تشير إلى أن طريقة التغيرير أو التعديل في تنظيم الأبواب النحوية داخل مؤلف ما قد تكون دالا من دوال التجديد أو التقليد فيه ، إذ إن هذا الدال ليس إلا علامة من العلامات المشكلة للبنية الكبرى في نمط التأليف .

(٥٧) انظر باب المرفوعات في مواضع من المصادر التالية :

● بحث المطالب : ص - ص ١٣٢ - ١٣٧ حيث شمل : الفاعل ونائب الفاعل ، ثم مبتدأ والخبر .

● التحفة المكتبية : وقد شمل الأبواب التالية : الفاعل ، نائب الفاعل ، المبتدأ والخبر ، اسم كان وأخواتها وما ألحق بها ، خبر إن وأخواتها ، المرفوعات من التوابع ، الفعل المضارع الذي لم تتصل به نون التوكيد ص ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٥٨ ، ١٨١ .

● تجديد النحر ، وقد شملت المرفوعات : المبتدأ والخبر ، إن وأخواتها ، لا النافية للجنس ، الفاعل ، ثم نائب الفاعل ، ص - ص ١٣٥ - ١٦٠ .

(٥٨) انظر : حسن عرون : تطور الدرس النحوى ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٠ ، ص - ص ٨٥ - ٨٨ حيث يرصد أسس تصنيف المادة النحوية في عدد من كتب التراث النحوى ، ويكشف عما في عدد منها من اضطراب وغموض .

(٣/١/٢) البنية الصغرى :

تمثل البنية الصغرى علامة من علامات بنية التأليف « القارة » فى « بحث المطالب » وتبدو أهمية تلك العلامة فى كونها كاشفة عن طريقة تنظيم المادة اللغوية أو النحوية داخل الوحدة الصغرى فى التأليف ، وهى التى تسمى « المطلب » فى مصطلحات التأليف عند جرمانوس فرحات .

وإذا كان كتاب « بحث المطالب » ينقسم إلى ثلاثة كتب تقدم على التوالى : تصنيف الأفعال ، فتصنيف الأسماء ، ثم قواعد النحو ، فإن كل كتاب منها ينقسم بدوره إلى عدة أقسام ، على حين ينقسم القسم الواحد إلى عدة أبحاث ، بينما يتفرع البحث إلى عدد من المطالب التى يزيد عددها أو يقل تبعاً لمادة الموضوع النحوى الذى يعرض فيه .

وإذا كانت كل الأقسام السابقة (الكتاب ، القسم ، البحث ، المطلب) تحمل عناوين تشير إلى المواد التى تقدمها أو تعالجها ، فإن كلا من « الأقسام » و « الأبحاث » تحمل عناوين دون أن تتضمن مادة أو مواداً تشرحها ، بينما وضعت المواد كلها داخل المطالب فقط . وتشتمل هذه المواد على القواعد النحوية والصرفية وشروحها أو أمثلتها .

فالمطلب يشكل إذن الوحدة الصغرى والأساسية فى بنية التأليف فى « بحث المطالب » ، ويكشف تأمله عن كونه حاملاً لدال من دوال التجديد فى الدرس النحوى عند جرمانوس ، إذ تقوم بنيته على الانتقال من العام إلى الأقل عمومية ومنه إلى الخاص ، فيبدأ المطلب بتعريف الموضوع أو الظاهرة ، ثم

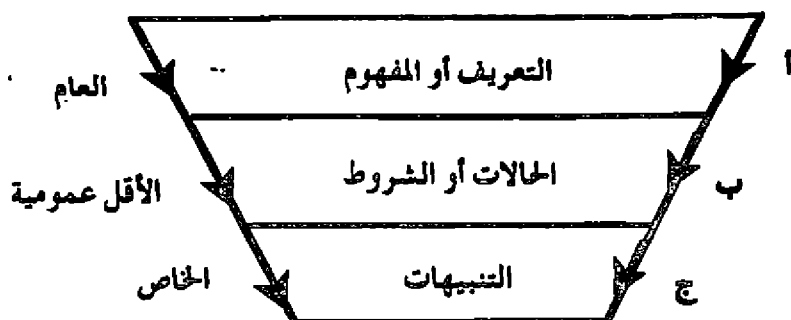
يتلوه تقديم الشروط أو الحالات المرتبطة بالموضوع أو الظاهرة ، وفي كل منهما يتم تقديم أمثلة قليلة دائما ، ويُختم المطلب أحيانا بتنبيه يؤدي عددا من الوظائف المتغيرة .

إن باب المبتدأ والخبر - على سبيل المثال - يتضمن عشرة مطالب تمضي على النحو التالي : تعريف المبتدأ والخبر ، تعريف المبتدأ والخبر وتنكيرهما ، اشتقاق الخبر وجموده ، الخبر الجملة ، ما يسد مسد الخبر ، رتبة المبتدأ والخبر ، جواز تقديم الخبر أو تأخيرها ، وجوب تأخير الخبر ، تضمين المبتدأ معنى الشرط ، وقوع الخبر النكرة بعد تمام المبتدأ والخبر ، حذف كل من المبتدأ والخبر ثم حروف الفصل (٥٩) .

وتمثل هذه المطالب الموضوعات المختلفة التي يعالجها النحاة العرب القدماء في إطار درسه لباب المبتدأ والخبر ، وإذا كان صنيع جرمانوس في هذا التنظيم يصله بمؤلفات النحاة العرب القدامى فإن إضافته الدالة تكشف عنها بنية المطلب بوصفه الوحدة الصغرى في التأليف ، وثمة علامتان فرعيتان تحملهما هذه البنية لدى جرمانوس ، وهما المنطق المتدرج ، والخلو من الاستطراد .

إن معنى المنطق المتدرج في بنية المطلب يتصل بتأسيسه على الانتقال من العام والأساسي (= تقديم المفهوم أو التعريف) ، ثم الانتقال إلى الجانب الأقل عمومية (الذي يتمثل في الشروط والحالات) ، ثم الانتهاء إلى الخاص (الذي يتمثل في تنبيه واحد أو أكثر) ، ويمكن تمثيل هذه البنية على النحو التالي :

(١) انظر : بحث المطالب ، مرجع سابق ، ص - ص ١٣٧ - ١٤٢ .



وتبدو هذه البنية (بنية المطلب) قائمة على منطق مختلف عن منطق تنظيم الكتاب ؛ فإذا كانت بنية الكتاب قائمة على الانتقال من الوحدات الصغرى إلى الوحدات الوسطى ، والانتهاء بالوحدات الكبرى ، فإن بنية المطلب تقوم على منطق معاكس يتصل بطبيعة تأليف المطلب ووظيفته في إطار بنية الكتاب . وبعبارة شارحة : لا يخلو أى مطلب من تعريف أو مفهوم أساسى يحكمه ، على حين تخلو بعض المطالب من تعدد الحالات (نتيجة وضعها في بنية موضوعات النحو العربى) بينما تخلو كثير من المطالب من التنبهات (وستتضح في فقرة تالية الأهمية القصوى التى تحملها التنبهات بحضورها أو بغيابها عن المطالب) .

إن متابعة هذه البنية الصغرى وتحليلاتها المختلفة في كتاب « بحث المطالب » تكشف عن اتصافها لدى جرمانوس بالصرامة التى تعنى - فيما نرى - أنها دال كاشف عن نشغال المؤلف في صياغته لكل مستوى من مستويات هذه البنية مع ضروع ذلك المستوى ، أى أنه لا يستطرد إلى

تناول التعريفات أو المسائل الجزئية أو الخلافية بين النحاة ، ولا يكتر من الشواهد أو الأمثلة .

وتعد تلك الصرامة في تنظيم المادة المدروسة وتقديمها علامة فارقة تميز « بحث المطالب » عن عدد من كتب المختصرات النحوية والصرفية في التراث العربي ، حيث يبرز الاستطراد في عرض المادة النحوية أو الصرفية ، ففي كتاب « الجمل في النحو » يستطرد الزجاجي في الإكثار من الأمثلة والشواهد ، كما يطيل أحيانا في عرض خلافاً للنحاة ومناقشتها وترجيح بعضها^(٦٠) ، وأما الميداني (ت ١٨٥ هـ) فكان ينحو في كتابه « نزهة الطرف في علم الصرف » إلى الاستطراد فإذا تعرض (أثناء التصريف لقضية صرفية استطرد في تفصيلها وبيان الخلاف مرجحاً ما يراه مرجحاً بالشواهد والبراهين)^(٦١) .

وإذا كانت البنى الصغرى في « بحث المطالب » تتصف بالصرامة فإن التنبهات التي كان جرمانوس فرحات يقدمها في نهاية عدد من المطالب الصرفية والنحوية مثلت وسيلة تأليفية تحقق وظائف مختلفة تتصل جميعها بهدف « بحث المطالب » . وهذا ما يمكن توضيحه بتأمل عدد من « التنبهات » في مواضعها من « المطالب » التي وردت فيها لاستكشاف وظائفها .

(٦٠) انظر : مقدمة تحقيق على توفيق الحمد لكتاب الجمل في النحو ، مرجع سابق ، ص - ص ٢٠ - ١٩ .

(٦١) السيد محمد عبد المقصود درويش : مقدمة تحقيقه لكتاب الميداني : نزهة الطرف في علم الصرف ، الطبعة الأولى ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٨٢ ، ص ٤١ .

فالتنبيه قد يكون وسيلة لتعميم القاعدة ، على نحو ما يبدو فى نهاية مطلب « تصريح الضمير المتصل » مع الفعل الماضى ، حيث يقون جرمانوس بعد أن عرض القاعدة ومثل لها (قس على تصريح هذا المطلب كل ماض ثلاثى وغير ثلاثى ، معلوما أو مجهولا) (٦٢) .

ويستخدم التنبيه أحيانا لتقييد القاعدة العامة ؛ ففي نهاية عرضه للاسم الممنوع من الصرف بسبب العلمية وعلة أخرى يقدم تنبيهين لتقييد بعض القواعد العامة التى عرضها ، وهما (إذا كان المؤنث المعنوى ثلاثيا ساكن الوسط جاز فيه الصرف وعدمه مثل هند) و (وإذا كان العلم ثلاثيا ساكن الوسط جاز فيه الصرف وعدمه مثل نوح وشيث ولوط وسام) (٦٣) .

وفى مواضع أخرى يستخدم جرمانوس التنبيه وسيلة لبيان أنماط ظاهرة ما ، فقد أنهى تناوله لمطلب « استتار الضمير » بالتنبيه على أن (استتار الضمير جائز وواجب ، فالجائز هو وهى ، والواجب ما سوى ذلك) (٦٤) .

ويستخدم التنبيه - فى سياقات أخرى - للتفريق بين أمور أو صيغ قد تلتبس كاشفا عن كيفية فك هذا الالتباس ؛ ففي نهاية تناوله لاشتقاق اسمى الفاعل والمفعول من صيغ مختلفة يقدم التنبيه التالى (يلبس اسم الفاعل واسم المفعول فى وزن تفاعل وافتعل وانفعل ، تقول متماد ومتمد ومنمد ، وفيهما يعرف بالقرائن) (٦٥) .

وبعض التنبيهات لدى جرمانوس كانت وسيلة لاستكمال جانب من جوانب القاعدة العامة التى شرحها ، ففي تناوله لحذف المفعول المطلق قدم تنبيها يرى أن (كل مصدر جاء مؤكدا لعامله ، وعامله محذوف فهو منصوب

(٦٢) بحث الطالب : ص ٢١ .

(٦٣) بحث الطالب : ص ١٢٣ .

(٦٤) بحث الطالب : ص ٢٣ .

(٦٥) بحث الطالب : ص ٤٠ .

على أنه مفعول مطلق ، مثل أيضا ، والتقدير أضت أيضا ،
 ويستخدم التنبيه وسيلة لتحديد الضرورات التي تباح للشاعر . كما
 يظهر في نهاية درسه للاسم المنادى المفرد ، إذ يقدم سببها يقول فيه : (إذا
 اضطر الشاعر إلى تنوين المنادى العلم جاز له أن ينونه رفعا ونصباً) (٦٧) .
 وقد جعل جرمانوس التنبيه أحيانا أداة لتصحيح خطأ من الأخطاء
 الشائعة ؛ إذ أنهى تناوله لمسألة تصريف الظرف وانصرافه بالتنبيه على أن
 (عند لا يدخلها من حروف الجر سوى من فقط ، وقول العامة سرت إلى عنده
 خطأ ، والصواب : سرت إليه) (٦٨)
 وقد وردت لدى جرمانوس تنبيهات أخرى في مواضع مختلفة من « بحث
 الطالب » أدت وظائف شبيهة بالوظائف التي استنبطناها من الأمثلة
 السابقة (٦٩) .

وإذا كان جرمانوس قد استمد مصطلح « التنبيه » من عدد من مؤلفي الكتب
 النحوية التراثية - كابن هشام في « مغنى اللبيب » والأشمونى (ت ٩٠٠ هـ)
 في شرحه على ألفية ابن مالك ، والصبان (ت ١٢٠٦ هـ) في حاشيته على
 شرح الأشمونى للألفية (٧٠) ، فإن اعتماده على هذا المصطلح في تشكيل

(٦٦) بحث الطالب ، ص ١٦٢ .
 (٦٧) بحث الطالب ، ص ١٧٣ ، وانظر أيضا : ص ١٢٤ ، حيث يقدم المؤلف التنبيه التالي :
 (متى أضيف الغير منصرف أو عرف بال صرف ، ويجوز للشاعر عند الضرورة أن يصرف مالا
 ينصرف) .

(٦٨) بحث الطالب ، ص ١٦٩ .
 (٦٩) انظر التنبيهات المقدمة في الصفحات التالية من بحث الطالب :
 ٢٠٨ ، ١٧٩ ، ١٦١ ، ١٣٩ ، ١٢٤ ، ١٢٣ ، ١١٧ ، ١١٣ ، ١٠٧ ، ٤٧ ، ٣٨ ، ٢٢ ، ٢٠٩ ،

(٧٠) انظر : ابن هشام - مغنى اللبيب عن كتب الأعراب تحقيق حنا الفاخوري . الطبعة
 الأولى ، دار الجيل بيروت ١٩٩٢ .
 - الصبان ، محمد بن علي أبو العرفان ، حاشية الصباد على شرح الأشمونى على ألفية
 ابن مالك ، تحقيق محمود بن الجميل . النبعة الأولى ، مكتبة الصفا ، القاهرة ٢٠٠٢ ، ص -
 ص ٢٧٢ - ٢٧٣ على سبيل التمثيل .

نسبة التأليفية الصغرى لا ينفصل عن سعيه إلى ضبط تلك البنية وإحكام صرامتها

إن البنى الصغرى فى كتاب « بحث الطالب » تعد - بقيامها على المنطق المتدرج واتصافها بالصرامة - دالا من دوال التجديد فى التأليف فى كتاب « بحث الطالب » .

ويبدو لنا أن غط التأليف بعلاماته المتعددة فى « بحث الطالب » يمثل الظاهرة الأولى والأساسية من ظواهر تجديد الدرس النحوى فى هذا الكتاب المجهول .

(٢ / ٢) المصطلحات بوصفها علامات :

يمثل استخدام المصطلحات وتحديد دلالاتها فى إطار موضوعات « بحث الطالب » ظاهرة من الظواهر الكاشفة عن تجديد الدرس النحوى لدى جرمانوس ، وإذا كان المصطلح لفظا مفردا أو عبارة مركبة ذات دلالة تتسم بالتحديد وبالوضوح ^(٧١) ، فإن بنيته ودلالته علامتان على « منهجية » لمستخدم له وطريقته فى التفكير ، وتصوره لجوانب المادة التى يعالجها فى مصنفه أو فى كتاباته المتخصصة ، ودال على تصورهِ للحدود الفاصلة بين جزئيات المادة وموضوعاتها المتشابهة ، وإشارة إلى إدراكه للصلات أو لعلاقات التى تربط بين بعض موضوعات المادة وجزئياتها .

وتشير هذه الجوانب إلى أن المصطلح علامة ذات دلالات متعددة تمارس

(٧١) انظر : محمود فهمى حجازى : الأسس اللغوية لعلم المصطلح ، دار غريب للطباعة والنشر والترزيع ، بدون تاريخ ، ص ١١ - ١٢ .

حضورها وفعاليتها على أكثر من مستوى من مستويات تشكيل المادة المدروسة وضبطها .

ولقد قام الدرس النحوى لدى كل من الطهطاوى وجرمانوس فرحات على عدد كبير جدا من المصطلحات النحوية والصرفية ، وإذا كان ذلك الملمح يعود إلى طبيعة علم النحر بوصفه واحدا من أكثر العلوم التراثية اعتمادا على تقسيم العناصر وتفريعيها وتحديد الجزئيات وتصنيفها - فإن طبيعة المرحلة التي ينتمى إليها كل من جرمانوس فرحات والطهطاوى قد فرضت على كل منهما أن يقيم درسه النحوى - فى جانبه الاصطلاحي - على استمداد مصطلحاته من التراث النحوى العربى ، ومن هنا لا تعد عملية رد هذه المصطلحات إلى أصولها الأولى عملية ذات جدوى كبيرة ؛ لأن طبيعة الدراسة النحوية فرضت على جرمانوس فرحات والطهطاوى إعادة استخدام المصطلحات الموروثة دائما ، لكن ما كان يستطيعان عمله هو اختيار بعض الإمكانات المتاحة ، أو تعديل بعض الإمكانات القائمة من منظور إدراكهما عدم وفاء المصطلحات القديمة بالتحديد الدقيق لهذا العنصر أو ذاك من عناصر المادة النحوية .

وستوقف عند بعض المصطلحات التي استخدمها لنقارن بينهما ، ونخلص فى النهاية - إلى دوال استخدام المصطلح النحوى لدى جرمانوس فرحات مقارنة بالطهطاوى ، وتنصب المقارنة على عينة « قليلة » من المصطلحات وهى : الكلمة ، والظرف ، وعلامات الاسم ، ونائب الفاعل ، وعوامل الرفع ، والمفعول لأجله ، ثم الحال .

عرف جرمانوس فرحات الكلمة فى اصطلاح النحاة بأنها (لفظ وضع

لمعنى مفرد ، فاللفظ هو الصوت المشتمل على بعض الحروف الهجائية (٧٢)
بينما عرف الطهطاوى الكلمة بأنها (قول مفرد مؤلف من حروف المباني ،
التي هي حروف الهجاء ألف باء إلى آخرها) (٧٣) . وإذا كان الطهطاوى
وجرمانوس يتفقان في وصف بنية الكلمة بتحديد الوحدات الصغرى التي
تؤلفها ، وهي الحروف ، فإن أهمية تعريف الكلمة عند جرمانوس تتمثل في
ضمه جانب الدلالة (دلالة الكلمة) إلى تعريفها مما لا يجعل تعريفه شكليا
فقط ، على العكس من تعريف الطهطاوى الذي توقف عند الجانب الشكلي ،
ولم يكشف عن البعد الدلالي للكلمة - بوصفها مصطلحا نحويا - إلا في
شرحه لأقسام الكلمة (٧٤) .

وتبدو عناية جرمانوس بإبراز الدلالة بوصفها جزءا من تعريف الموضوع
أو الظاهرة سمة متواترة في تعريفات أخرى كما يبدو في تعريفه للظرف بأنه
(المفعول فيه ويسمى الظرف ، وهو كل اسم مكان أو زمان حدث فيه فعل
وتضمن معنى) (٧٥) .

على حين يبدو الجانب الدلالي الدال على وظيفة الظرف غائبا عن تعريفه
لدى الطهطاوى الذي ينصر على أن (المفعول فيه هو الظرف الذي يقع فيه
الفعل) (٧٦) .

وأما في تعريف علامات الاسم فيفترق جرمانوس فريحات بين علاماته
اللفظية (وهي عنده دخول لام التعريف ، ودخول حروف الجر والتنوين)
وعلاماته المعنوية التي يصفها بأنها (واحدة وهي الإخبار عن الاسم نحو :

(٧٢) بحث المطالب ، ص ١٠٦ .

(٧٣) التحفة المكتبية ، ص ٩٥ .

(٧٤) التحفة المكتبية ، ص - ص ٩٥ - ٩٦ .

(٧٥) بحث المطالب ، ص ١٦٧ .

(٧٦) التحفة المكتبية ، ص ٢٠٦ .

قام بطرس (٧٧) . في حين لم يقدم الطهطاوى تعريفا لهذه العلامات .
وعدل عنه إلى تقديم شرح مفصل لها (٧٨) ، وهذا ما يكشف عن دقة
جرمانوس فرحات في تعامله مع بعض المصطلحات مقارنة بالطهطاوى

وتبدو بعض المصطلحات لدى جرمانوس فرحات مصطلحات واضحة
وقائمة على الاختصار مقارنة بمصطلحات الطهطاوى ، وهذا ما تكشف عنه
مقارنة مصطلح « نائب الفاعل » لديهما ؛ فهو عند جرمانوس فرحات (ما
حُذِفَ فاعله وأقيم المفعول مقامه كقولك في : ضرب عمر زيدا - ضُرب
زيد) (٧٩) ، أما الطهطاوى فيعرفه بأنه (الاسم المرفوع الذى لا يذكر معه
فاعله لنيابته عنه في جميع أحكامه) (٨٠) .

وتبدو بعض مصطلحات جرمانوس فرحات قائمة على الاختصار ،
والشمول الذى يعنى وفاء المصطلح بكل الحالات التى تندرج فى إطار الباب أو
الموضوع الذى يشير إليه ذلك المصطلح ، وهذا ما يظهر من مقارنة مصطلح
المفعول به لديه بنظيره لدى الطهطاوى ، فالمفعول به عند جرمانوس (هو ما
وقع عليه فعل الفاعل إيجابا وسلبا) (٨١) ، أما الطهطاوى فيقدم
التعريف التالى (المفعول به هو الذى يقع عليه فعل الفاعل) (٨٢) . ويبدو
تعريف المفعول به لدى شرقى ضيف شديد الشبه بتعريفه لدى
جرمانوس فرحات (٨٣) .

(٧٧) بحث الطالب ، ص - ص ١٠٨ .

(٧٨) التحفة المكتبية ، ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(٧٩) بحث الطالب ، ص ١٣٦ .

(٨٠) التحفة المكتبية ، ص ١٤٠ .

(٨١) بحث الطالب ، ص ١٦٢ .

(٨٢) التحفة المكتبية ، ص ١٨٩ .

(٨٣) انظر : شرقى ضيف : تجديد النحو ، مرجع سابق ، ص ١٦٣ ، حيث يعرف المفعول به بأنه
(الاسم المنصوب الذى يقع عليه العامل إيجابا وسلبا) .

إن اتصاف عدد - مصطلحات جرمانوس فرحات بشموليتها في تحديد طبيعة الموضوع النحوى الذى يشير إليه تتضح فى استخدامه لمصطلح المفعول لأجله مقارنة باستخدام الطهطاوى للمصطلح نفسه ، إذ بدأ جرمانوس فرحات بالإشارة إلى المصطلحين المتواترين لدى بعض النحاة لتسمية المفعول لأجله وهما المفعول له والمفعول من أجله ، ثم عرفه على النحو التالى (هو المصدر المذكور علة لحدث يشاركه فى الزمان والفاعل)^(٨٤) . بينما عرف الطهطاوى المفعول لأجله بأنه (هو الاسم المنصوب الذى يذكر بيانا لعلّة وقوع الفعل ، فهو الغرض الذى لأجله يكون الإقدام على الفعل)^(٨٥) ، ثم أتبع ذلك التعريف بالوقوف عند شروط المفعول لأجله ، بينما اتسم تعريف فرحات بقدرته على ضم الشروط إلى المصطلح ذاته ، فكان المصطلح دالا ودقيقا فى آن ، وقد تشابه مصطلح المفعول لأجله لدى كل من محمد عيد وشوقي ضيف مع مثيله لدى فرحات^(٨٦) .

وإذا كان جرمانوس فرحات قد عرف الحال بأنه (نكرة مشتقة واقعة بعد تمام الكلام تبين هيئة الفاعل والمفعول أو المجرور)^(٨٧) ، فإن الطهطاوى عرفه على النحو التالى (الحال : هو الاسم المنصوب المفسر لما انبهم من الهيئات أى الصفات ، فهو لبيان هيئة الفاعل فى حال وقوع الفعل منه أو هيئة المفعول فى حال وقوع الفعل به ، فلا يفسر إلا ما هو فاعل أو مفعول به ،

(٨٤) بحث المطالب ، ص ١٦٧ .

(٨٥) التحفة المكتبية ، ص ٢٠٦ .

(٨٦) يعرف المفعول لأجله عند محمد عيد على النحو التالى (كل مصدر ذكر علة لحدث سابق والتعد مع هذا الحدث فى الزمان والفاعل) النحو المصفى ص ١٤٤ ، بينما عرفه شوقي ضيف بأنه مصدر مبصر . يعنى جملة لبيان سببها وعلتها (تجديد النحو ص ١٧٧ ، ويشترك تعريف ضيف فى جزأه الأول مع تعريف جرمانوس فرحات ، كما يشترك معه فى الإيجاز ، وفيما عداه يدين بجانبه . لمصطلح لدى جرمانوس أكثر شمولاً منه لدى ضيف .

(٨٧) بحث المطالب ص - ص ١٨١ - ١٨١ .

فى اللفظ أو المعنى وهو ما يقع فى جواب : كيف ؟ (٨٨) .

إن وضع مصطلحى الطهطاوى وفرحات بإزاء بعضهما البعض يكشف عن اتصاف مصطلح جرمانوس بالدقة والاختصار معا ^(٨٩) على حين يمكن وصف هذا المصطلح لدى الطهطاوى باضطراب بنيته الناتجة عن تحوله إلى مصطلح شارح لا واصف للحال .

إن درس المصطلحات السابقة لدى كل من جرمانوس وفرحات ورفاعة الطهطاوى يكشف عن عدد من دوال استخدام المصطلح - بوصفه علامة - ذات دلالات متعددة فى إطار « منهجية » التأليف وطريقة تفكير المؤلف فى مادته الأساسية ، وأبرز هذه الدوال : اتكساء فرحات على دور الدلالة فى صياغته للمصطلحات النحوية ، وتدقيقه فى بناء عدد من المصطلحات ، وسعيه إلى إيجاز بنية المصطلحات مع وفائها بالدلالة على ما تشير إليه ، وسعيه إلى أن يكون المصطلح شاملا مختلف الحالات أو الأنماط التى تقع فى دائرته .

وإذا كانت هذه النتائج قد استنبطت من تحليل عينة من مصطلحات فرحات ومقارنتها بنظرائها لدى الطهطاوى ، فإن هذا لا ينفى ما يلاحظه الدارس / القارئ من « تفوق » الطهطاوى على جرمانوس فى استخدامه لعدد من المصطلحات الأخرى ^(٩٠) ، مما يعنى أن الدراسة التفصيلية لمصطلحات

(٨٨) التحفة المكتبية ، ص ٢١٥ ، وهناك خطأ مطبعيان فى الأصل ، فكلمة « أى » بجدها ، الهوى » وعبارة « فى حال وقوع الفعل به » بجدها ، فى حالة وقوع لفعل به » .

(٨٩) انظر تعريف الحال لدى كل من محمد عيد ، وشوقي ضيف فى كتابيهما : النحو المصفى ص ٤٥٤ ، وتجديد النحو ص ١٨٢ .

(٩٠) انظر على سبيل المثال مصطلح الإعراب لدى الطهطاوى وقارنه بنظيره لدى جرمانوس ، التحفة المكتبية ص ١١١ ، وبحث الطالب ص ١١٩ .

الدرس النحوى لدى فرحات والطهطاوى تظل المحك الدقيق لتحديد طبيعة الاستخدام المصطلحي لديهما . ومع هذا تظل دلالات الاستخدام المصطلحي لدى جرمانوس - فى ضوء النماذج التى توقفنا عندها - مشيرة إلى كونها ظاهرة من ظواهر تحديد الدرس النحوى لديه ، إذ تكشف عن سعى فرحات المؤلف النحوى إلى ضبط مصطلحات العلم الذى يكتب فى مجاله ، مما يعد - بدوره - دالا على تصور المؤلف لذلك العلم تصورا منضبطا . إن ضبط المصطلحات المستخدمة فى إطار علم النحو يمثل أساسا من أسس تحديد النحو لدى شوقي ضيف صاغه فى دعوته إلى وضع ضوابط وتعريفات دقيقة^(٩١) . وقد تتيح لنا النماذج التى توقفنا عندها من « بحث الطالب » إمكانية الزعم بأن ذلك الأساس كان مائلا - بصورة ما - فى ذهن جرمانوس فرحات ، وإن توقفت ماهيته على طبيعة العصر الذى ينتمى إليه المؤلف .

(٣ / ٢) الإيجاز فى تقديم المادة النحوية والصرفية :

تمثل ظاهرة الإيجاز فى اختيار عناصر المادة الصرفية أو النحوية التى اصطفها جرمانوس من كتب التراث النحوى العربى علامة على منحاه التجديدى فى الدرس النحوى ، وإذا كان جرمانوس قد اكتفى فى تقديمه الموجز لكتابه بالإشارة إلى أنه قد أثبت فيه ما يراه لازما لطلابه ونبل ما يراه غريبا عنهم^(٩٢) ، أى غير مفيد لهم ، فإن هذا الوصف المختصر الذى قدمه يمثل

(٩١) انظر : شوقي ضيف : تحديد النحو ص - ص ٣٠ - ٣٤ ، حيث يعرض المؤلف هذا المبدأ ويطبقه على عدد من موضوعات النحو كالمفعول المطلق والمفعول معه والحال .

(٩٢) انظر : مقدمة بحث الطالب ص ٦ .

مقوما من مقومات التجديد ، ولكن الاختصار الشديد الذى صاغ به جرمانوس مقومه التجديد يدفع قارئ الكتاب إلى تلمس فاعلية الإيجاز فى البنية الداخلية لهذا الكتاب . ونرى أن الإيجاز علامة من العلامات الدالة على تجديد الدرس النحوى عند جرمانوس ، وتحمل هذه العلامة دلالتين ، تتصل أولاهما بإشارتها إلى طبيعة اختيارات جرمانوس من المادة الضخمة التى أتاحها له كتب التراث النحوى ، بينما تتصل ثانيتهما بالإشارة إلى إدراك جرمانوس المؤلف الحاجات « الدقيقة » للطلاب أو المتلقين الذين توجه إليهم بكتابه .

إن فاعلية الإيجاز تتجلى بوصفه ، من ناحية ، آلية اعتمدها جرمانوس فرحات فى تعامله مع المصادر النحوية والصرفية السابقة عليه ، وبوصفه علامة تقود القارئ إلى تتبعها واكتشاف طرائق عملها فى « بحث المطالب » من ناحية أخرى .

ويمكن أن يتلمس القارئ فاعلية الإيجاز بوصفه آلية وعلامة معا فى كل الموضوعات التى تناولها جرمانوس فرحات فى « بحث المطالب » ، ويمكن اكتشاف طبيعة هذه الفاعلية ومداهما من تحليل باب « التصغير » فى « بحث المطالب » مقارنة بكتب المختصرات الصرفية والنحوية ، وبمحاولة شوقى ضيف فى « تيسير النحو العلمى » .

ومن اللافت للانتباه ، بداية ، أن عدداً من كتب المختصرات الصرفية فى التراث لم يتناول مؤلفوها مسألة التصغير ، وهذا ما يظهر فى كتابى عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) « العمد فى التصريف » و « المفتاح فى

التصريف ، وفي كتاب الميداني « نزهة الطرف في علم الصرف » (٩٣) ، بينما
مُثل « باب التصغير » واحدا من الأبواب الصرفية الثلاثة التي عالجها ابن جني
في كتابه « اللمع » على الرغم من أن كتابه واحد من كتب المختصرات
النحوية ، وقد عرض ابن جني لقواعد التصغير مختصرة وقدم له أمثلة
كثيرة يدخل معظمها فيما يراه شوقي ضيف واجب الإهمال في الكتب
التعليمية (٩٤) .

وإذا كان ابن هشام (ت ٦٧١ هـ) قد تناول التصغير في مختصره
الصرفي « نزهة الطرف في علم الصرف » فإنه قد قدم فيه أهم قواعد التصغير
بإيجاز شديد يصل إلى الإخلال بها أحيانا ، كما قدم كثيرا من الأمثلة
التطبيقية دون تحليلها أو التعليق عليها (٩٥) .

وقد عرض جرمانوس للتصغير ومسائله في عشرة مطالب بدأها بتعريف
التصغير ، ثم تناول تصغير الاسم ، وتصغير الاسم المعتل بالقلب ، وتصغير
الاسم المعتل بالحذف ، وتصغير الاسم الواقع فيه بعد ياء التصغير حرف علة ،

(٩٣) انظر الكتب التالية :

عبد القاهر الجرجاني : كتاب المفتاح في التصريف ، تحقيق وتقديم على توفيق الحمد ، الطبعة
الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٧

عبد القاهر الجرجاني : كتاب « العمدة » في التصريف - تحقيق وتقديم وتعليق البدرأوى زهران ،
طبعة دار المعارف ١٩٨٨ .

الميداني (أحمد بن محمد) : نزهة الطرف في علم الصرف ، تحقيق السيد محمد عبد المقصود
، مرجع سابق .

(٩٤) انظر ابن جني : اللمع في العربية ، ص - ص ٢٩٠ - ٣٠٤ ، وانظر آراء شوقي ضيف حول
مسألة التصغير وكيفية معالجتها في كتب النحو التعليمي في كتابه تيسير النحو التعليمي ،
مرجع سابق ، ص - ص ١٤٧ - ١٤٩ .

(٩٥) انظر ابن هشام (عبد الله بن يوسف الأنصاري) : نزهة الطرف في علم الصرف ، تحقيق
ودراسة أحمد عبد الحميد هريدي ، طبعة مكتبة الزهراء ، ١٩٩٠ ، ص - ص ١١٤ - ١١٩ .

وتصغير المزيد الذي يشمل تصغير المؤنث ، وتصغير ما فيه حرف مد ، ثم تصغير المزيد الذي لا يتضمن حرف مد ، وتصغير الجمع ، لتصغير الاسم الجنبى (٩٦) .

ويمكن مقارنة ذلك الباب لدى جرمانوس بمقترحات شوقي ضيف في كتابه « تيسير النحو التعليمى » ، وتكشف هذه المقارنة عن النتائج التالية :

أ - إذا كان شوقى ضيف قد دعا إلى تجاهل صيغتي تصغير المثنى وتصغير جمع المؤنث السالم في كتب النحو التعليمى (٩٧) فمن الملاحظ أن جرمانوس قد تجاهل تماما هاتين الصيغتين من صيغ التصغير اللتين قررهما أصحاب المطولات وبعض أصحاب المختصرات الصرفية في التراث العربى .

وإذا كان شوقى ضيف قد علل دعوته إلى حذف هاتين الصيغتين وغيرهما من كتب النحو التعليمى بضرورة تقديم المستخدم فقط من صيغ التصغير ، فإن تأمل صنيع جرمانوس يشير إلى إمكانية القول إن هذا المبدأ كان ماثلا فى ذهن جرمانوس وموجها له أيضا (٩٨) .

ب - حدد جرمانوس فرحات ثلاثة أنماط لتصغير الاسم المعتل بالحذف وهي [الأول متى لم يعرض عن المحذوف رد فى التصغير ما حذف منه نحو يدى ودمى وأخى وأبى (....) الثانى متى عُوِّضَ عن المحذوف بهمزة أو تاء مبربوطة حذف فى التصغير ما عوض عنه ورد المحذوف (...) الثالث

(٩٦) انظر : بحث المطالب : مرجع سابق ، ص - ص ٨٤ - ٨٨ .

(٩٧) انظر شوقى ضيف : تيسير النحو التعليمى ، مرجع سابق ، ص ١٤٧ .

(٩٨) انظر : شوقى ضيف : المرجع السابق ، ص ١٤٧ ، ويجب أن نضيف هنا ما يقوله ضيف من أنه يكفى أن نذكر للناشئة (تلك الأسماء المتداولة فى أمثلة التصغير وتعرض عليهم دون وضع قاعدة لها) ص ١٤٧ .

متى عوض عن المحذوف بتاء مجرورة رد المحذوف عند التصغير وأبدلت التاء المجرورة بمربوطة نحو خية وبنية تصغير بنت وأخت (. . . .) وشاذ هنيهة تصغير هنة [(٩٩)] .

وقرن صديق جرمانوس فرحات فى هذا المطلب بصنيع شوقى ضيف يكشف عن تماثل شديد بينهما ، فقد دعا شوقى ضيف إلى إهمال النماذج الأخرى للتصغير التى قدمها الصرفيون القدامى فى هذا الجانب ، وهذه الصيغ هى :

- تصغير الماضى المهموز فى حالة الأمر (خذ ← أخِذ) .

- تصغير الاسم المؤنث معتل الفاء (وصلة ← وَصِيلة ، عِدَّة ← وَعِيدة) .

- تصغير الحروف الثنائية (هل ← هُلِيل) .

- تصغير بعض الأفعال (يرى ← يَرِىْ) (١٠٠) .

ومن الملاحظ أن جرمانوس فرحات قد تجاهل تماما هذه الصيغ الأربع التى دعا ضيف - بعده بما يقل قليلا عن ثلاثة قرون - إلى استبعادها من دائرة كتب تعليم الناشئة ، وقد وصفها ضيف بالقول (إن هذه الصور الأربعة للتصغير من تخيلات النحاة ، ولذلك يجب أن تُهْمَل فى تعليم الناشئة) (١٠١) .

(٩٩) جرمانوس فرحات : بحث المطالب ، مرجع سابق ، ص ٨٥ .

(١٠٠) انظر : شوقى ضيف : تيسير النحو التعليمى ، مرجع سابق ، ص ١٤٧ .

(١٠١) المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

ويمكن الزعم ، استنادا إلى المقارنة السابقة ، أن هذا المبدأ الذى سُمى
ضيف إلى تأصيله من أجل تعيين صيغ التصغير التى تُقدّم فى كتب النحو
التعليمى - كان واضحا لدى جرمانوس فرحات على الرغم من عدم
تصريحه به .

ج - الاختلاف الأساسى بين جرمانوس وضيف فى صيغ التصغير يظهر
فى عدد من الأمثلة الواردة فى مسألة تصغير الاسم المعتل بالقلب حيث أبقى
جرمانوس بعض الأمثلة التى رأى ضيف - فيما بعد - ضرورة استبعادها من
دائرة النحو التعليمى (مثل باب وناب وغيرها)^(١٠٢) ، كما يظهر
اختلافهما فى مسألة تصغير بعض أسماء الإشارة والأسماء الموصولة التى
أثبتها جرمانوس بينما دعا ضيف إلى تجاهلها^(١٠٣) .

ولعل مرد الاختلاف بين جرمانوس وضيف حول الإبقاء على بعض صيغ
التصغير أو حذفها من كتب النحو التعليمى يعود إلى طبيعة أهداف كل
منهما ؛ إذ كان شوقى ضيف يستند فى دعوته إلى حذف بعض صيغ التصغير
- إلى أنها (لا تجرى فى لغتنا الأدبية ولا فى لغتنا اليومية) ومن ثم دعا إلى
حذف قواعدها من كتب تعليم الناشئة لأن هذه الصيغ والقواعد معا لا
تفيدان الناشئة أى فائدة فى النطق^(١٠٤) . فى حين أبقى جرمانوس على
عدد من صيغ التصغير قليلة الاستخدام لأنه كان يتوجه بكتابته إلى من يفترض
أنهم يتصلون بالتراث العربى الوسيط ، مما يجعلهم معرضين لمقابلة هذه

(١٠٢) انظر : شوقى ضيف : تيسير النحو التعليمى ، مرجع سابق ، ص ١٤٨ .

(١٠٣) انظر : بحث الطالب ، ص ٨٥ ، ٨٨ حيث يقدم جرمانوس الصيغ المشار إليها فى المتن .

(١٠٤) انظر : شوقى ضيف : تيسير النحو التعليمى ، مرجع سابق ، ص ١٤٨ .

الصيغ في كتب ذلك التراث ، ولعل من اللافت للانتباه أن جرمانوس بنفسه قد استخدم كل صيغ التصغير ، حتى التي استبعدها من « بحث المطالب » في قصيدة من ديوانه عدتها عشرون بيتا (١٠٥) .

إن التعامل مع الإيجاز بوصفه آلية وعلامة دالة في كتاب « بحث المطالب » قد كشف عن دورها في بيان جانب من جوانب تحديد الدرس النحوي لدى جرمانوس فرحات .

ولا تقتصر فاعلية الإيجاز في مؤلفات جرمانوس فرحات النحوية واللغوية على « بحث المطالب » فقط بل تتجلى بوضوح في كتبه الأخرى ؛ فكما بيّنا من قبل اعتمد جرمانوس على هذه الآلية في كتابه « الأجوبة الجلية في الأصول النحوية » كما اعتمد عليها في معجمه « إحكام باب الإعراب عن لغة الأعراب » ؛ إذ تعتمد تجاهل عدد كبير من الكلمات التي رأى أنها ليست كثيرة الدوران والتداول بين مستخدمي العربية في عصره (١٠٦) .

(٤ / ٢) بنية تناول الموضوع النحوي :

تمثل الظاهرة التالية المبينة عن جانب من جوانب تحديد الدرس النحوي لدى جرمانوس فرحات في ظاهرة بنية تنظيم تناول الموضوع النحوي تنظيما وافيا بتقديم الجوانب الأساسية لذلك الموضوع ، واختيار عدد من جزئياته

(١٠٥) انظر : ديوان جرمانوس فرحات ، تعليق وتصحيح سعيد الخوري الشرتوني ، الطبعة الثانية ،

المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، بيروت ١٨٩٤ ، ص - ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(١٠٦) انظر : جرمانوس فرحات : إحكام باب الإعراب عن لغة الأعراب ، مرجع سابق ، ص ٣ من

مقدمة رشيد الدحداح .

الدالة ، مع التمثيل لها بعدد محدود من الأمتد ونجد هذه الظاهرة ظاهرة مركبة تقوم على توظيف المؤلف عددا من الآليات والعلامات التي يأتى فى مقدمتها المصطلح النحوى ذو الصياغة المضبوطة ، والإيجاز بوصفه أداة ترتبط باختيارات المؤلف من المصادر النحوية التى يعتمد عليها .

وتحمل هذه الظاهرة التأليفية عدة دلالات ستبدى عبر مقارنة « بحث الطالب » بعدد من كتب المختصرات النحوية ، وستنصب المقارنة على عدد من الموضوعات النحوية وهى : البدل ، والتمييز والتوكيد بوصفها نماذج دالة على طريقة تناول هؤلاء المؤلفين وفرحات لغيرها من الموضوعات النحوية .

فحين تناول فرحات البدل فإنه انطلق من تعريفه بأنه (التابع المقصود بالحكم بلا واسطة) (١٠٧) ، ثم قدم أحكامه المختلفة وتلاها بتناول متعلقاته ، ووازى هذه الإجراءات تقديمه أمثلة مختلفة تمثل لكل هذه الجوانب .

وتختلف بنية تنظيم الموضوع النحوى لديه عن طرائق أصحاب المختصرات النحوية التراثية فى تناول البدل ؛ فابن جنى أخذ فى « اللمع » يتناول البدل دون أن يعرفه ، وإنما بدأ بتحديد وظائفه تحديدا موجزا واصفا البدل بأنه (يجرى مجرى التوكيد فى التحقيق والتشديد ، ومجرى الوصف فى الإيضاح والتخصيص) (١٠٨) ، ثم تناول أضربه الأربعة ومثل لها بأمثلة من الأمثلة المتواترة لدى النحاة ، ونموذج من الشعر وثلاثة شواهد قرآنية (١٠٩) .

(١٠٧) بحث الطالب ، ص ٢٠١ .

(١٠٨) ابن جنى : اللمع ، مرجع سابق ، ص ١٧٢ .

(١٠٩) انظر المرجع السابق ، ص - ص ١٧٣ - ١٧٦ .

أما الزجاجي في « الجمل » فقد تجاهل تعريف البدل وركز تناوله على عرض أضربه الأربعة ممثلاً لها بأمثلة وشواهد مختلفة من تعبيرات متكررة لدى النحاة وشواهد قرآنية وشعرية (١١٠) .

ويتشابه الجزولي (ت ٦٠٧ هـ) في « المقدمة الجزولية » مع الزجاجي وابن جني في تجاهل تقديم تعريف للبدل والاكتفاء بعرض قواعده الأساسية عرضاً بالغ الإيجاز (١١١) ، كما تتواتر الظاهرة ذاتها في كتاب عبد القاهر الجرجاني « الجمل في النحو » (١١٢) .

فإذا قرن الدارس النماذج الأربعة السابقة بالرملي (ت ٩٧٣) وجد أنه في شرحه للأجرومية ، اهتم بتقديم المعنيين اللغوي والاصطلاحي للبدل ، ثم انتقل إلى عرض مختلف قواعده مع التمثيل لها (١١٣) .

وإذا كان ذلك القران « السابق » يكشف عن تنوع ما في طريقة تنظيم مادة الموضوع النحوي (ونموذجه هنا البدل) في كتب المختصرات النحوية ، فإن سيادة نمط تأليف ذي بنية ليست منضبطة تماماً في تناول كتب المختصرات النحوية للبدل ، يشير إلى إمكانية افتراض أن مثل هذه البنية كانت

(١١٠) انظر الزجاجي : كتاب الجمل : مرجع سابق : ص - ص ٢٣ - ٢٦ .
(١١١) انظر الجزولي (عيسى بن عبد العزيز) : المقدمة الجزولية في النحو ، تحقيق وشرح شعبان عبد الوهاب ، الطبعة الأولى ، أم القرى ، القاهرة ١٩٨٨ ، ص - ص ٧٦ - ٧٧ .
(١١٢) انظر : عبد القاهر الجرجاني : الجمل في النحو ، مرجع سابق ، ص ١٠٠ ، حيث يقدم أضرب البدل الأربعة دون تعريفه ، ثم يمثل للبدل ، والملاحظ أن تناوله للبدل قد احتل ستة أسطر فقط .

(١١٣) انظر : الرملي (أحمد بن علي) : شرح الأجرومية ، تحقيق ودراسة على موسى الشوملي ، دار أمية للنشر والتوزيع ، الرياض ، بدون تاريخ ، ص - ص ٢١٢ - ٢١٧ .

عائقا يمنع هذه الكتب من أن تزدى وظيفتها المثلى فى المجتمع العربى الرسيط ،
فى حين يبدو تنظيم جرمانوس تناوله للبدل دالا على أمرين : السعى إلى
استكمال بعض أوجه « القصور » فى كتب المختصرات النحوية التراثية وذلك
عن طريق نقل التعريف (= تعريف البدل) من كتب المطولات النحوية ،
فالتعريف الذى قدمه جرمانوس هو نفسه التعريف الذى وصفه محمد عيد بأن
كتب النحو تكاد تتفق عليه (١١٤) .

ويفضى ذلك السعى إلى دال آخر يتصل بإحكام جرمانوس بنية تناول
الموضوع النحوى تناولا موجزا دون الإخلال بتقديم الجوانب الأساسية فيه .

وتتكشف أهمية طريقة بناء الموضوع من مقارنة تناول جرمانوس فرحات
لموضوع التمييز بتناول السابقين عليه من أصحاب كتب المختصرات النحوية ،
فالزجاجى لم يقدم فى « الجمل » تعريفا للتمييز ، بل بدأ بتقديم عدد من
صفاته التى أوضحتها عبارته عن أن (التمييز لا يكون إلا نكرة ، ولا يكون إلا
منصوبا ، ولا يتقدم على المميز منه) (١١٥) ، ثم قدم أمثلة مختلفة لعدد من
المواضع التى يرد فيها التمييز .

وأما عبد القاهر الجرجانى فلم ينطلق فى « الجمل » من تقديم مصطلح
التمييز ، بل انطلق من الحديث عن ضريبه ، مطيلا الوقوف - فى حدود كون
كتابه واحدا من كتب المختصرات - أمام الضرب الثانى الذى يقول عنه إنه يأتى
بعد تمام الاسم (ومعنى تمام الاسم أن يكون ممتنعا عن الإضافة) (١١٦) ، ثم

(١١٤) انظر : محمد عيد : النحو المصفى ، مرجع سابق ، ص ٦٢٥ .

(١١٥) الزجاجى : الجمل ، ص ٢٤٢ .

(١١٦) عبد القاهر الجرجانى : الجمل ، ص ١٠٤ .

عرض أوجه امتناع الاسم عن الإضافة وتوقف أمام تمييز « كم » .

ورغم أن ابن جنى قد بدأ تناوله للتمييز - في « اللمع » - بتقديم تعريفه على النحو التالي : التمييز هو (تخليص الأجناس بعضها من بعض ، ولفظ المميز اسم نكرة ، يأتي بعد الكلام التام يراد به تبين الجنس ، وأكثر ما يأتي بعد الأعداد والمقادير) (١١٧) ، رغم هذا فإن العبارة الأولى في هذا التعريف (تخليص الأجناس بعضها من بعض) تبدو عبارة قريبة من الغموض (١١٨) . مما يتناقض مع شرط من شروط صياغة المصطلح ، يتمثل في ضرورة اتصافه بالوضوح في دلالاته على ما يشير إليه . ثم أخذ ابن جنى يقدم أمثلة مختلفة للمواضع التي يرد فيها التمييز بعد الأعداد والمقادير ، ثم قدم عددا من الصيغ المحفوظة أو العبارات المتداولة التي يستخدم فيها التمييز .

ولعل النماذج السابقة تتيح إمكانية القول بأن أصحاب كتب المختصرات النحوية التراثية لم يستطيعوا في تناولهم لبعض الموضوعات النحوية أن يلتزموا بطريقة « منضبطة » في عرض المادة النحوية ، مما قد يباعد بين هذه الكتب وتحقيقها وظائفها التعليمية .

وأما صاحب « بحث المطالب » فقد عرف التمييز على النحو التالي (هو

(١١٧) ابن جنى : اللمع ، مرجع سابق ، ص ١٤٧ .

(١١٨) انظر هامش رقم (٥) من الصفحة ذاتها حيث يقدم المحقق تعليقا يحاول فيه أن يقرب تعريف ابن جنى للتمييز من تعريف أبي على الفارسي ، مما يشير فيما نرى إلى غموض تعريف ابن جنى ، بدليل أن المحقق قد بدأ بوصفه بأنه (ليس بغريب) رغبة في نفي غموضه .

اسم نكرة جامدة مفسرة ما انبهم من الذوات ، بمعنى من خلافا للحال لأنه نكرة مشتقة مفسرة ما انبهم من الصفات ، فالتمييز إذن قسمان : الأول ما يبين إبهام اسم مفرد نحو رطل زيتا ، والثاني ما يبين إجمال نسبة نحو طاب زيد نفسا (١١٩) ، ثم تناول أقسامه ، ومثل لها بأمثلة قليلة .

ويكشف النظر إلى التعريف السابق عن أن جرمانوس قد استمد ذلك التعريف من كتب المطولات النحوية ، معدلا بذلك في جانب من جوانب « القصور » التي تجلت في كتب المختصرات النحوية السابقة عليه ، ثم لجأ إلى آلية المقابلة بين التمييز والحال ليزيل أى التباس قد يستشعره القارئ / الطالب بينهما ، ولذا يمكن وصف عبارته التي يميز فيها بين الحال والتمييز بأنها عبارة شارحة .

وإذا كان ضم قسمي التمييز إلى تعريفه عند جرمانوس قد وسع من حد التمييز ، فإنه قد أدى إلى إطالة التعريف ، ولذا يبدو تعريف ابن هشام للتمييز أكثر إيجازا مع وفائه بالدلالة (١٢٠) ، بينما يبدو تعريف شوقي ضيف للتمييز دقيقا وشاملا وموجزا في آن واحد ، فالتمييز عنده (اسم منصوب يزيل إبهاما في اسم آخر أو صفة أو فعل) (١٢١) ، وقد أعقب تعريفه بتحديد الموضع العشرة التي يرد فيها التمييز وتمثيله لها بأمثلة مختلفة .

(١١٩) بحث الطالب ، ص ١٨٣ .

(١٢٠) انظر : محمد عيد : النحو المصفى ، ص ٤٧٦ ، حيث ينقل تعريف ابن هشام الذى يحدد

التمييز بأنه (اسم نكرة فضلة جامد يرفع إبهام اسم أو إجمال نسبة) .

(١٢١) شوقي ضيف : تيسير النحو التعليمي ، ص ١٢٧ .

ومعظم النتائج التي اتضحت من مقارنة « البدل » و « التمييز » عند جرمانوس فراحات بنظيريهما عند أصحاب كتب اختصرات النحوية تنطبق أيضا على تناوله وتناولهم للتوكيد (١٢٢) .

إن النتيجة الأساسية التي يمكن أن ننتهي إليها من دراسة المثالين السابقين تشير إلى سعي جرمانوس فراحات إلى تنظيم تناوله للموضوع النحوي « الواحد » في بنية موزونة تفي بالجوانب الأساسية له ، مع التمثيل بأمشلة مختلفة ، مما يعني ، من ناحية ، أن الإيجاز لم يكن عائقا له أمام ضبط بنية تناول الموضوع ، ويشير من ناحية ثانية ، إلى سعي المؤلف إلى الإفادة من كتب المطولات النحوية في تعديل بعض جوانب « القصور » في كتب المختصرات النحوية .

وإذا كانت ظاهرة بنية تنظيم تناول الموضوع النحوي ظاهرة مركبة ، فإنها دالة في الوقت نفسه على جانب من جوانب تجديد الدرس النحوي لدى جرمانوس فراحات .

(٥ / ٢) الأمثلة ، دورها العلامى ، أنماطها ، دلالاتها :

تعد ظاهرة الأمثلة التي اعتمد عليها صاحب « بحث الطالب » في التمثيل للظواهر النحوية والصرفية دالا من الدوال الكاشفة عن تجديد الدرس

(١٢٢) انظر تناول هؤلاء النحاة للتوكيد في المواضع التالية ، وقارنه بتناول جرمانوس فراحات (ص - ص ١٩٩ - ٢٠٠ من « بحث الطالب ») :
الزجاجي : الجمل ص ٢١ ، ابن جنى : اللمع ص - ص ١٦٩ - ١٧٠ ، عبد القاهر الجرجاني : الجمل ص - ص ٩٧ - ٩٨ ، الجزولي : المقدمة الجزولية ص - ص ٧٣ - ٧٥ ، الرملی : شرح الأجرمية ص - ص ٢٠٧ - ٢١١ .

النحوى لديه ، واتصال ذلك التجديد - فى جانب من جوانبه - بالفئة الأساسية التى توجه المؤلف بكتابه إليها ، دون أن ينفى ذلك إمكانية تلقى هذا الكتاب فى إطار دوائر أخرى من المتلقين من خارج تلك الفئة .

ويمكن التعامل مع الأمثلة التى اعتمدها فرحات من منظور علامى يرى فى المثال أو الشاهد الذى يمثل به النحوى علامة من العلامات الدالة فى إطار بنية التأليف وإمكانات التلقى ، ومن هذ المنظور يمكن التمييز بين نمطين من الأمثلة فى كتاب « بحث المطالب » : يتمثل أولهما فى الأمثلة التراثية أى تلك الأمثلة المتواترة والكثيرة الدوران فى كتب النحاة العرب فى العصور الوسطى ، على حين يتمثل ثانيهما فى تلك الأمثلة التى استمدها المؤلف من مصادر ثقافته المسيحية ، وهى تنقسم بدورها إلى قسمين ، أحدهما يشكل الأمثلة المسيحية المباشرة ، بمعنى الأمثلة التى استمدها المؤلف من الترجمة العربية للإنجيل وكان ينص دائما على مصدرها ذاك ، بينما يمثل الآخر الأمثلة ذات الصبغة المسيحية ، أى هذه الأمثلة التى يستخدم فيها المؤلف عددا من أسماء الأعلام الشائعة لدى الطوائف المسيحية مثل (بطرس ، مريم ، لوقا) ويكثر المؤلف من وضع اسم العلم (بطرس) فى كثير من أمثله ، وكأنه يقابل به تردد اسم العلم (زيد) عند النحاة العرب القروسيين .

ويمكن استكشاف طبيعة دلالات نمطى الأمثلة فى كتاب بحث المطالب وفق عدد من المحددات الأساسية وهى :

أ - المثال الذى نتوقف عنده ليس مجرد كلمة مفردة ، بل هو جملة أو عبارة ، وهذا يعنى ضرورة استبعاد معظم الأفعال لأنها تخلو - إلا قليلا - من الدلالات المذهبية .

ب - ضرورة استبعاد عدد كبير من العبارات والجمل التي استخدمها
فراحات في أمثله ، من دائرة هذا التصنيف لأنها لا تحمل دلالات مذهبية
مسيحية فقط أو إسلامية فقط ، أو لأنها ذات مضامين عامة . ومن هذه
الأمثلة : رجيل حاضر ، المرت عندك ، ليس هالك المؤمنان ، ليس هالك
المؤمنون ، الله غفور رحيم ، آدم أبونا ، الذي يأتيني فله درهم ، لعمرك
لأفعلن ، زرتك حتى لا تصعب علي ، زرتك لملا تفتاظ ، إن تكسل
تخسر ، ومن يطلب يجد (١٢٣) .

ج - يتم الرمز للأمثلة التراثية بالحرف (ألف) ونرمز إلى الأمثلة
المستمدة من الإنجيل بالحرف (باء) وإلى الأمثلة ذات الصبغة المسيحية
بالحرف (جيم) .

د - اختيار عشرة موضوعات من موضوعات « بحث الطالب »
بطريقة أقرب ما تكون إلى (العشوائية) حتى تكون نتيجة الاختيار معبرة
عن طبيعة المادة المختارة ، والأبواب التي تم اختيارها هي أبواب اللفظ المفيد
المركب ، وعلامات الاسم والاسم الموصول ، والفاعل ، ونائب الفاعل والمبتدأ
والخبر ، والتنازع والاشتغال ، وأفعال المقاربة ، ثم إعراب الفعل (١٢٤) .

هـ - يتم تصنيف نمطى الأمثلة وفقاً للمحددات الأولى والثانية من هذه
المحددات ويتم إحصاء مجموع الأمثلة في الموضوع الواحد ثم بيان عدد أمثلة
كل نمط في هذا الموضوع ، ثم بيان النسبتين العددية والنسبة لمجموعتي (باء)
و (جيم) إزاء بعضهما ، ثم هما معا إزاء المجموعة (أ) .

(١٢٣) انظر هذه الأمثلة في الصفحات التالية في « بحث الطالب » :

١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ وغيرها من الصفحات .

(١٢٤) انظر هذه الأمثلة في الصفحات التالية في « بحث الطالب » :

١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٣ - ١١٥ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٤٩ - ١٥٠ ، ٢٠٤ - ٢٠٦

و - تستخرج نتائج الإحصاءات والمقارنات ، ثم يتم تفسيرها واستنباط الدلالات التي تنطوي عليها فيما يتعلق بمدى انتشار بحث المطالب ، وربط هذه الدلالات ببعض الظواهر التاريخية الكاشفة عن حدود انتشار هذا الكتاب وتداوله مقارنة بانتشار كتاب « التحفة المكتبية » وتداوله .

وقد وضعنا هذه الإحصاءات في ملحق بهذه الدراسة أسميناه ملحق إحصاء أنماط الأمثلة في الموضوعات المختارة (١٢٥) ، وأفدنا منها في الجداول المستخدمة في هذه الفقرة .

جدول (٢) ، النسبتان ، العددية والنسبية للنمط (أ)
مقارنة بالنمطين (ب) و (ج)

الترتيب	النمط (ب)	النمط (ج)	النسبة (ب/ج)	النسبة (ب/ج)	النسبة (ب/ج)
١	اللفظ المفيد المركب	٥	صفر	٥	١٠٠٪
٢	علامات الاسم	٧	٣	٤	٦٨٪
٣	الاسم الموصول	٦	٤	اثنان	٣٣٪
٤	الفاعل	٣٢	١٥	١٧	٥٥٪
٥	المتنوع	١٢	١٢	صفر	صفر
٦	نائب الفاعل	٩	٨	واحد	١١٪
٧	المبتدأ والخبر	٥٧	١٧	٤٠	٧٠٪
٨	الاشتهال	١٢	١٢	صفر	صفر
٩	أفعال المقاربة	١٣	١٣	صفر	صفر
١٠	إعراب الفعل	٣١	صفر	٣١	١٠٠٪

(١٢٥) انظر الملحق .

يكشف الجدول السابق عن عدد من النتائج هي :

أ - خلو عدد من الأبواب من الأمثلة المستمدة من الثقافة المسيحية ، خلواً تاماً ، وهي أبواب التنازع والاشتغال ، وأفعال المقاربة .

ب - تعتمد بعض الأبواب على عدد قليل جداً أو قليل من الأمثلة المستمدة من الثقافة المسيحية ، وهذا ما يتضح في باب نائب الفاعل الذي تعتمد أمثلته على ١١٪ فقط منها ، وفي باب الاسم الموصول الذي يعتمد على ٣٣٪ في أمثلته على شواهد الثقافة المسيحية .

ج - ثلث أبواب العينة المختارة تعتمد أمثلتها على نسبة أدنى من المتوسط أو نسبة متوسطة في إفادتها من أمثلة مستمدة من الثقافة المسيحية ، وهذا ما يتضح في أبواب الفاعل (٥٥٪) وعلامات الاسم (٦٨٪) ثم المبتدأ والخبر حيث تصل النسبة إلى (٧٠٪) .

د - تعتمد بعض الأبواب اعتماداً كاملاً على الأمثلة المستمدة من الثقافة المسيحية ، وهذا ما يظهر في بابين فقط من أبواب العينة ، وهما بابا اللفظ المفيد المركب وإعراب الفعل حيث تسجل هذه الأمثلة نسبة ١٠٠٪ .

يمكن توضيح النسبة العددية لورود أمثلة الثقافة المسيحية في أبواب العينة على النحو التالي :

نوع الورد	الاعتماد الكامل	فوق المتوسط	المتوسط	القليل	الخالى
نسبة الورد	٢	٢	١	٢	٢

وذلك ما يمكن أن يكشف عن أن الاعتماد على أمثلة مستمدة من الثقافة المسيحية ليس ظاهرة مطردة في أبواب العينة كلها ، مما يشير إلى أن هذه الظاهرة لم تكن - فيما يبدو - عائفاً أمام انتشار هذا الكتاب في البيئات غير

المسيحية ، وهناك أدلة أخرى إحصائية تعصد هذا الاستنتاج ، فإذا حاولنا أن نكتشف النسبة المئوية التي تمثلها أمثلة الثقافة المسيحية في مجموع أبواب العينة المختارة أو موضوعاتها فسنجد أن الجدول التالي يوضحها على النحو

التالي :
جدول (٤) ، حاصل نسب أمثلة الثقافة المسيحية
في موضوعات الكتاب المختارة

الترتيب	النسبة المئوية (%)	الموضوع	الترتيب
١٠	%١٠٠	اللفظ المفيد المركب	١
٦,٨	%٦٨	علامات الاسم	٢
٣,٣٠	%٣٣	الاسم الموصول	٣
٥,٥٠	%٥٥	الفعل	٤
صفر	صفر	المتن	٥
١,١	%١١	نائب الفعل	٦
٧	%٧٠	المبتدأ والخبر	٧
صفر	صفر	الأشغال	٨
صفر	صفر	أفعال المقاربة	٩
١٠	%١٠٠	إعراب الفعل	١٠
%٤٣-٧		الاجمعي	

إن النتيجة الأساسية التي يكشف عنها الجدول السابق تبين أن ٤٣,٧% من أمثلة الكتاب مستمدة من الثقافة المسيحية ، أي أنها تمثل - من الوجهة النظرية الخالصة - أقل من نصف عدد أمثلة العينة المختارة ، وتربط هذه النتيجة مع نتيجة الإحصاء الأساسية التي كشف عنها الجدول الأول ، مما

يعضد إمكانية القول بانتشار تلقى هذا الكتاب في البيئات غير المسيحية في لبنان أو الشام عامة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

ولعل النتيجة السابقة يمكن تعضيدها برصد يميز بين تواتر الأمثلة المستمدة من الترجمة العربية للإنجيل والأمثلة ذات الصيغة المسيحية في الأبواب المختارة من الكتاب ، وقبل رصدها يجب ملاحظة ضرورة إخراج الأبواب الثلاثة التي خلت من الأمثلة المسيحية بنمطها ، وهي أبواب التنازع ، الاشتغال ، وأفعال المقاربة .

ويكشف الجدول التالي عن النسبتين العددية والنسبية لاستخدام أمثلة الثقافة المسيحية في أبواب العينة المختارة من الكتاب .

جدول (٥) : النسبتان : العددية والنسبية للأمثلة المجموعة (ب)
مقارنة بأمثلة المجموعة (ج)

م	الموضوع	الأمثلة المجموعة (ب)	الأمثلة المجموعة (ج)	النسبة
١	اللفظ المفيد المركب	٥	٥	صفر
٢	علامات الاسم	٤	٣	١ % ٧٥
٣	الاسم الموصول	٢	٢	١٠٠ %
٤	الفاعل	١٧	صفر	١٧
٥	نائب الفاعل	واحد	صفر	واحد
٦	البتدأ والخبر	٤٠	١٠	٢٥ %
٧	إعراب الفعل	٣١	١٦	٤٨ %

ويكشف الجدول السابق عن النتائج التالية :

أ - هناك بعض الأبواب التي احتلت فيها الأمثلة المستمدة من الإنجيل

النسبة الكبرى من مجموع أمثلة هذه الأبواب ، وهذا ما يظهر لى باين فقط ، وهما بابا علامات الاسم والاسم الموصول ، ففى أولهما وصلت النسبة إلى ١٠٠٪ ، بينما وصلت لى الثانى إلى ٧٥٪ .

ب - هناك باب واحد فقط سجلت فيه الأمثلة المستمدة من الإنجيل نسبة حضور « متوسطة » وهو باب إعراب الفعل حيث سجلت نسبة ٤٨٪ من أمثلته .

ج - هناك باب واحد سجلت فيه أمثلة الإنجيل نسبة حضور قليلة وهو باب المبتدأ أو الخبر ، إذ سجلت نسبة ٢٥٪ فقط من مجموع أمثلة الثقافة المسيحية فيه .

د - هناك ثلاثة أبواب تخلو تماما من أمثلة مستمدة من الإنجيل وهى أبواب اللفظ المفيد المركب ، والفاعل ، ونائب الفاعل .

ويمكن الخلو إلى نتيجة أساسية تتولد عن النتائج الثلاث السابقة ، فحواها أن نسبة الأمثلة المستمدة من الإنجيل أقل من مثيلتها ذات الصيغة المسيحية ، وإذا كانت الجداول السابقة قد كشفت عن قلة أمثلة الثقافة المسيحية بنمطية مقارنة بالأمثلة التراثية ، فإنه يمكن القول إن الأمثلة المستمدة من الإنجيل فى هذا الكتاب تعد قليلة فى ضوء العينة التى توقفنا عنها ، مقارنة بمجموع الأمثلة المختلفة المترددة فى أبواب العينة التى توقفنا عنها .

ولعل تلك النتيجة السابقة تعضد إمكانية القول بصحة الدلالة الأساسية

التي كشفت عنها نتائج الجداول السابقة ، والتي ترى أن أمثلة الثقافة المسيحية التي اعتمدها جرمانوس فرحات في « بحث المطالب » لم تكن عائقا أمام تلقى كتابه في البيئات غير المسيحية في لبنان وفي بلاد الشام في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

وتحمل النتيجة الأساسية عددا من الدلالات التي تتصل بصنيع المؤلف في بعض كتاباته الأخرى ، وبهدف من الأهداف الضمنية لكتاب « بحث المطالب » ؛ فلم يكن جرمانوس فرحات - فيما يبدو - ينأى تماما عن الاعتماد على أمثلة قرآنية أو حديثة ؛ ففي الفصل الذي خصصه لعوامل الإعراب في معجمه « إحكام باب الإعراب عن لغة الأعراب » كرر المؤلف - في مواضع مختلفة - الاعتماد على شواهد من القرآن الكريم ومن الحديث النبوي^(١٢٦) ، مما يشير إلى أنه لم يكن يجد غضاظة في الاستناد إلى شواهد مستمدة من المصدرين الأساسيين للثقافة العربية الإسلامية . وإذا كان المؤلف قد اعتمد في نسبة من أمثلة « بحث المطالب » على الاستمداد من الثقافة المسيحية ، فقد كان ذلك يتصل بهدف من أهدافه الضمنية التي يمكن استنباط بعضها مما يتمثل في تبسيط تعليم النحر العربي أو تيسيره للفئة الأساسية التي كان يتوجه إليها ، من ناحية ، والعمل - من ناحية ثانية - على إدماج الثقافة المسيحية إدماجا عضويا في الثقافة العربية الحديثة .

(١٢٦) انظر : فصل عوامل الإعراب في « إحكام باب الإعراب عن لغة الأعراب » ، صفحات ٦٤٤ ، ٦٤٦ ، ٦٤٨ وفيها شاهدان ، ٦٤٩ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ .

إن غياب الأمثلة القرآنية والحديثية عن « بحث المطالب » يمكن أن تتجلى بعض دلالاته من مقارنة « بحث المطالب » - في هذا الجانب - بعدد من كتب المختصرات النحوية ، ففي « اللمع » لابن جني هناك أربعون شاهدا قرآنيا فقط ، وأما في « المقدمة الجزولية » للجزولي فثمة عشرة شواهد قرآنية فقط ^(١٢٧) . وأما في « الجمل » للزجاجي فثمة حديثان نبويان فقط ، بينما لم يستشهد الجزولي في « المقدمة الجزولية » إلا بشاهد واحد من كلام عمر بن الخطاب ^(١٢٨) . ولعل في هذه النماذج ما يسهم في « التخفيف » من « غرابة » عدم اعتماد جرمانوس فرحات على أمثلة قرآنية أو حديثية في « بحث المطالب » .

ولعل تلك الدلالات السابقة يمكن أن تفسر تعدد طبعات « بحث المطالب » طوال القرن التاسع ؛ إذ وصلت إلى ثلاث عشرة طبعة ، مما يعني أن الكتاب كان يتلقى في بيئات عربية مختلفة ، مسيحية كانت أم إسلامية . وإذا كان كتاب الطهطاوي « التحفة المكتبية » قد طبع مرتين فقط طوال القرن التاسع عشر ^(١٢٩) فإن قرنه - من هذه الزاوية - بكتاب « بحث المطالب » قد يكشف عن التأثير الكبير الذي مارسه « بحث المطالب » على عدة أجيال من المتعلمين أو التلاميذ العرب .

(١٢٧) أنظر : ابن جني : اللمع ، مرجع سابق ، ص ٥٥ من مقدمة المحقق ، الجزولي : المقدمة الجزولية ، مرجع سابق ، ص ٢٨ من مقدمة المحقق .
(١٢٨) أنظر : الزجاجي : الجمل ، مرجع سابق ، ص ١٩ من مقدمة المحقق ، المقدمة الجزولية ، ص ٧٠ من مقدمة المحقق .

(١٢٩) أنظر : عابدة نصير . حركة نشر الكتب العربية في مصر في القرن التاسع عشر ، الطبعة الأولى ، قسم النشر بالجامعة الأمريكية ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص ١٦٢ ، حيث يكشف وصدا عن طبع « التحفة المكتبية » مرتين فقط خلال القرن التاسع عشر ، أولاهما سنة ١٨٦٨ وصدرت عن « مطبعة بولاق » ، وثانيتهما سنة ١٨٦٩ وصدرت عن مطبعة المدارس .

(٣) بلورة النتائج :

مثلت الظواهر المختلفة التى حللناها فى الفقرات السابقة دوال تجذيد
الدرس النحوى عند جرمانوس فرحات فى كتابه « بحث المطالب »
وسمى التحليل إلى بلورة هذه الظواهر عبر متابعة تجلياتها الرأسية والأفقية
فى « بحث المطالب » ، وأخذ التحليل يجلى هذه الظواهر عن طريق المقارنة
بين « بحث المطالب » وكتب المختصرات النحوية والصرفية « التراثية » من
ناحية ، وكتاب الطهطاوى « التحفة المكتبية » من ناحية ثانية .

وقسّمت هذه الظواهر فى خمس : أولاها نمط التأليف الذى تشكل من
ثلاث علامات رئيسية هى : البنية الكبرى ، والبنية الثانوية أو الصغرى ، ثم
تنظيم بعض الأبواب النحوية وفق منطق مبتكر يختلف عن المناطق السائدة فى
كتب المختصرات النحوية والصرفية .

وأما الظاهرة الثانية فتمثلت فى سعى جرمانوس فرحات إلى ضبط عدد
من مصطلحات الدرس النحوى والتدقيق فى صياغتها ، وإبراز دور الدلالة فى
تحديد موضوعاتها بدقة .

وإذا كان الإيجاز فى الاختيار من المادة النحوية التراثية قد شكل الظاهرة
الثالثة من ظواهر تجذيد الدرس النحوى لدى فرحات ، فإن التحليل قد سعى
إلى اكتشاف دلالات الإيجاز بوصفه علامة وآلية معا ، فوصل إلى إدراك
جوانب التشابه بين جرمانوس فرحات وشوقي ضيف فى معالجتهم
لباب التصغير .

وقد تفاعلت ظاهرتا الضبط المصطلحي والإيجاز معاً فولدتا ظاهرة مركبة أسميناها « بنية تنظيم تناول الموضوع النحوى تنظيماً وافياً ودالاً » ، شكلت ظاهرة من الظواهر الجديدة فى نمط كتب المختصرات النحوية والصرفية ، ومثلت ظاهرة التمثيل للقواعد النحوية والصرفية اعتماداً على الجمع بين الأمثلة التراثية وأمثلة الثقافة المسيحية الظاهرة الأخيرة من ظواهر تجديد الدرس النحوى لدى جرمانوس فرحات .

ولعل تلك الظواهر « السابقة » تتيح لنا إمكانية إثبات الرأى الذى بدأت به هذه الدراسة ، وهو تصور أن كتاب « بحث المطالب » يمثل البداية الحقيقية والجهولة لتجديد الدرس النحوى فى العصر الحديث .

إن الإنجاز الجذرى الذى قدمه « بحث المطالب » يتمثل فى البنية الكبرى لتأليف الكتاب النحوى ، وهى بنية تقوم على الانتقال من الوحدات الصغرى (الأصوات) إلى الوحدات الوسطى (الكلمات) ، ثم منهما معاً إلى الوحدات الكبرى (الجمل) . وهى بنية تختلف جذرياً عن البنية السائدة فى المؤلفات النحوية السائدة فى التراث النحوى العربى ، ومن هذا المنظور تعد تلك البنية الكبرى دالاً على تجديد جذرى قدمه جرمانوس ، تجديد يستند إلى قطيعة مع التراث ، مع احتفاظه - فى الوقت ذاته - بالعناصر الأساسية الصغرى المكونة لهذه البنية (أعنى مختلف جوانب المادة النحوية من موضوعات ومصطلحات وغيرها) . وقرن محاولة جرمانوس فرحات بمختلف محاولات تجديد النحو التى تلتها يكشف عن أن محاولة شوقي ضيف « تجديد

النحو ، هي الوحيدة التي استندت إلى هذا النمط الجديد من أنماط البنى التأليفية (على الرغم من أن شوقي ضيف لم يؤسس لهذه البنية تأسيساً نظرياً شاملاً) .

(٢ / ٣) البنية التأليفية الكبرى في إطار مقارن :

إن إضاءة الإنجاز الجذري الذي قدمه جرمانوس فرحات في « بحث الطالب » ، ذلك الإنجاز المتمثل في البنية التأليفية الكبرى للكتاب النحوي ، تتطلب وضعه في إطارين يتقاطع معهما ، مما يسهم في الكشف عن حجم ذلك الإنجاز وأهميته ودلالته . وهذان الإطاران هما : منهجية تأليف المستشرقين في كتب تعليم الأوروبيين قواعد النحو العربي ، وجهود الشوام ، أو اللبنانيين خاصة ، الذين كانوا يعلمون العربية في الدوائر الاستشرافية في أوروبا في الفترة السابقة على جرمانوس ، ثم في الفترة المعاصرة له ، أي في الفترة الممتدة من الربع الأخير من القرن السادس عشر إلى منتصف القرن الثامن عشر .

إن إضاءة الإطار الأول تشير إلى أن تطور حركة الاستشراق ، منذ القرن السادس عشر ، كشف للقائمين بالتدريس في الدوائر الاستشرافية عن الحاجة إلى وضع مؤلفات في النحو العربي لتعليم دارسي الثقافة العربية والإسلامية قواعد اللغة العربية ، وقد لبّت تلك الحاجة عدة كتب ، يأتي في أولها كتاب بوستل "Guillaume Postel" (١٥١٠ - ١٥٨١) « النحو العربي »

”Grammatica Arabica“ والذي نشر في باريس عام ١٥٣٩ ، وهو يركز على تعليم كتابة الحروف العربية ، ويعرف بالاسم والفعل والحرف ، ويتناول أسماء الإشارة وبعض الظروف والمبتدأ . ورغم أن « بوستل » قد أفاد في صياغته المصطلحات النحوية من بعض المصادر النحوية العربية ، ومن عدد من المخطوطات العربية ، فإنه سعى إلى الإفادة من مصطلحات النحو اللاتيني في تقديم مصطلحات النحو العربي (١٣٠) .

وقد وصف المستشرق الألماني « فوك » كتاب « بوستل » بالضعف وكثرة الأخطاء المطبعية . (١٣١) .

ولعل أوجه القصور في كتاب « بوستل » هي التي جعلت من كتاب المستشرق الهولندي إيرينيوس (١٣٢) ” Thomas Erppenius (١٥٨٤ - ١٦٢٤) المنشور باللاتينية عام ١٦١٣ تحت عنوان « النحو العربي في خمسة

(١٣٠) عن كتاب بوستل ، انظر :

- Bobizin , Hartmut : Guillaume Postel (1510 - 1581) und die Terminologie der arabischen Nationalgrammatik, Studies in The History of arabic Grammar II, ed by kees versteegh and Michael G. Carter, Amsterdam, 1990, PP.S 7 - 72 .

يوهان فوك : تاريخ حركة الاستشراق : الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين ، تعريب عمر لطفى العالم ، الطبعة الأولى ، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ١٩٩٦ ، ص - ص ٤٩ - ٥٠ ، ونشير إلى أن عنوان كتاب فوك بالألمانية

هو : Die arabischen Studien in Europa

وهو عنوان يختلف عن العنوان الذي وضعه المترجم .

(١٣١) انظر : يوهان فوك : المرجع السابق ، ص - ص ٤٩ - ٥٠ .

(١٣٢) حول التعريف بجهود إيرينيوس يمكن مراجعة الجزء الثاني من كتاب نجيب العقيلي : المستشرقون ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، ١٩٦٥ ، ص - ص ٦٥٣ - ٦٥٤ .

أبواب ؛ "Grammatica Arabica" أول مؤلف أوروبي متكامل يقدم ، من منظور أوروبي ، قواعد العربية لتلبية حاجة طلاب الدراسات العربية . وتقوم بنية هذا الكتاب على منطقي متدرج في تناول المادة اللغوية ؛ إذ يبدأ الكتاب بتناول الإملاء ، ودراسة الخط وأنواعه والنظام العددي ، ودراسة عدد من الموضوعات المرتبطة بالأصوات العربية كالنطق وظاهرة الإدغام وقواعد الحركات القصيرة ، ويضيف إليها عرضاً لأحكام تلاوة القرآن ، ثم ينتقل إلى دراسة عدد من الموضوعات التي تقع في إطار علم الصرف ، إذ يقدم بالتفصيل مسائل بناء الفعل ، والفعل المهموز ، والفعل الناقص ، وصيغ الأسماء ، وجمع التكسير ، ويقدم أمثلة لها جميعاً .

ويتلو ذلك بدراسة الأدوات وبناء الجملة والتركيب . ولكن المشكل أن هذه الجوانب التي تدخل جميعها في إطار النحو - بمعناه الضيق في التراث العربي - لم تنل إلا عناية قليلة من « إرينيوس » إذ لم يخصص لها سوى صفحات قليلة جداً من كتابه (١٣٣) .

وقد ظل كتاب « إرينيوس » المرجع الأساسي لتعليم قواعد العربية في مختلف الدول الأوروبية لمدة قرنين من الزمان ، ولم يدخل عليه المستشرقون أي تعديلات جوهرية سوى إضافة بعض النصوص للمطالعة (١٣٤) .

وإذا كان عدم اهتمام « إرينيوس » بإعطاء بنية الجمل والتركيب العربية ما تحتاجه من عناية واهتمام يشكل الجانب السلبي الأساسي في كتابه

(١٣٣) حول كتاب إرينيوس انظر :

يوهان فوك ، المرجع السابق ، ص - ص ٦٩ - ٧٠ .

عبد الرحمن بدوي : موسوعة المستشرقين ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ص - ص ٩ - ١٢ .

(١٣٤) انظر : يوهان فوك : تاريخ حركة الاستشراق ، مرجع سابق ، ص - ص ٦٩ - ٧٠ .

- فإن كتاب « النحو العربى » « Grammaire Arabe » أو « التحفة السنية فى علم العربية » والذي أصدره المستشرق الفرنسى « سلفستر دى ساسى » (١٧٥٨ - ١٨٣٨) عام ١٨١٠ يمثل المؤلف الجديد الذى حل محل كتاب إرينيوس .

ويتكون كتاب دى ساسى من جزئين ، وهو يقوم على البدء بدراسة عناصر الكلام العربى والكتابة العربية ؛ إذ بدأ بدراسة الأبجدية العربية ، وتقسيم الحروف إلى صوامت وسواكن ، ثم درس بعض الظواهر الصوتية كالتشديد والهمزة والمدة ، ثم انتقل إلى دراسة مكونات الكلام فدرس الأفعال والضمائر ، وتصريفات الأفعال ، وأزمنة الأفعال ، وتصريف الأسماء ، كما درس كثيراً من الحروف (مثل حروف الاستفهام ، وحروف التنبيه ، وحروف التعليل ، وحروف التحقيق وغيرها) .

وقد انتقل ، بعد ذلك ، إلى دراسة تركيب الجمل ، فقدم وصفاً مستفيضاً لأنماط بناء الجمل العربية ، مما يمثل وصفاً دقيقاً لموضوعات النحو العربى .

ولعل أبرز ما يتسم به كتاب « دى ساسى » هو تقديمه - فى إطار تناوله للموضوعات السابقة - عدداً كبيراً من الأمثلة التطبيقية والتوضيحية من آيات القرآن ومن مصادر الأدب العربى (١٣٥) .

إن كتابى « إرينيوس » و « دى ساسى » قد أثبتا بنية تأليفية فى تنظيم قواعدهم العربية لطلاب الاستشراق ، وتقوم هذه البنية على البدء بالدرس

(١٣٥) انظر :

De Sacy, Silvestre : Grammaire Arabe (التحفة السنية فى علم العربية) Paris, 1829 .

الصوتى يتلوه الدرس الصرفى للصيغ والمشتقات العربية ثم دراسة تراكييب الجمل وأبديتها . وقد تثبتت هذه البنية التأليفية فى كتب تعليم العربية فى اللغات الأوروبية المختلفة ، وهى تتجلى -بوضوح- فى كتب المستشرقين الإنجليز والألمان فى القرن التاسع عشر وما بعده (١٣٦) دون أن ينفى هذا أن بعض هؤلاء المستشرقين كانوا يعدلون أحيانا فى بعض تفاصيل هذه البنية أو جزئياتها .

وفى موضع تال سيكشف وضع كتاب « بحث المطالب » فى إطار كتب قواعد العربية عند المستشرقين عن بعض جوانب أهميته .

وأما الإطار الثانى الذى يجب أن يوضع فيه « بحث المطالب » فهو مؤلفات اللبنانيين أو الشاميين السابقين عليه ، ممن كانوا يعلمون العربية فى أوروبا .

وتتطلب إضاءة ذلك الإطار وقفة تاريخية قصيرة ؛ ففى بداية الربع الأخير من القرن السادس عشر بدأ بعض الموارنة من لبنان وسوريا يدرسون فى جامعات روما ، وفى عام ١٥٨٤ أنشأ البابا غوريغوريس الثالث عشر مدرسة فى روما عرفت بالمدرسة المارونية ، لتعليم رجال الدين من الموارنة اللبنانيين ، فأخذ هؤلاء فى الالتحاق بهذه المدرسة حيث كانوا يتعلمون علوم

(١٣٦) انظر على سبيل المثال الكتابين التاليين :

- Wright, W : A Grammar of Arabic Language, cambridge, 1964 .
- Nöldeke , Theodor : Zur Grammatik des classischen Arabisch , Darmstadt, 1963 .

وقد صدرت طبعته الأولى عام ١٨٩٧ .
ومن نماذج كتب القرن العشرين يمكن مراجعة كتاب بلاشير الفرنسى الذى أشرنا إليه فى هامش سابق .

اللاهوت والمنطق ، ويدرسون اللغات السامية واليونانية واللاتينية ، ويلمّون بالإيطالية والفرنسية ، ودُعِمت هذه المدرسة بإنشاء المطبعة الشرقية في روما عام ١٦٥٣ .

وكان متاح لطلاب هذه المدرسة الدراسة بها لمدة قد تصل إلى أكثر من عشر سنوات ، وبعد انتهاء الدارس من دراسته كان أمامه طريقان : إما العودة إلى لبنان للعمل في مجال الوعظ والتعليم عن طريق السعى إلى تأسيس مدارس في مناطق الموارنة لتعليمهم علوم اللاهوت والأدب واللغة والتاريخ وغيرها (١٣٧) ، أو البقاء في روما للعمل في الدوائر الكنسية ، كالاشتغال بالترجمة من العربية والسريانية إلى اللاتينية ، والإسهام في تنقيح الأناجيل وسائر أسفار العهد القديم التي طبعت باللغتين السريانية والعربية ، وفهرسة المخطوطات الشرقية ودراستها .

وقد مثّل تعليم دارسي الاستشراق من الأوروبيين اللغتين العربية والسريانية عملاً من أبرز الأعمال التي قام بها خريجو المدرسة المارونية في روما . وقدم عدد منهم مؤلفات تقع في إطار تعليم قواعد اللغة العربية ، أو النحو العربي ، ومن هؤلاء :

(١٣٧) انظر : نفولا زيادة : أبعاد التاريخ اللبناني الحديث ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص - ص ١٣٢ - ١٣٦ .
وانظر أيضاً : نجيب العقيقي : المستشرقون ، الجزء الثالث ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، ١٩٨١ ، ص ٣١٧ .

بطرس المطوشي (١٥٥٩ - ١٦٢٥) وله كتاب « اللغة العربية » الذي صدر في روما عام ١٦٢٤ . ويوحنا الحصري (ت ١٦٢٦) الذي قدم مع جبرائيل الصهيوني (١٥٧٧ - ١٦٤٨) كتابا عنوانه « قواعد اللغة العربية » يتكون من خمسة أجزاء ، وقد صدر في باريس عام ١٦١٦ ، ونصر الله شلق (ت ١٦٣٥) الذي صنف كتابا عنوانه « المدخل إلى اللغة العربية » صدر في روما عام ١٦٢٧ ، ثم سر كيس الرزي (ت ١٦٣٨) الذي قدم كتاب « قواعد اللغتين العربية واللاتينية » (١٣٨) .

ورغم عدم وجود معلومات مفصلة عن طبيعة مؤلفات هؤلاء اللبنانيين في قواعد العربية أو النحو العربي ، فمن الراجح أنهم قد انتهجوا فيها نفس النهج الذي انتهجه إرينيوس في كتابه « النحو العربي » .

إن وضع كتاب جرمانوس لفرحات « بحث المطالب » في سياق يتقاطع فيه مع الإطارين السابقين يستند إلى عدد من الشواهد الوثيقة ، وهي : ما ثبت في سيرة جرمانوس من أنه قد زار إيطاليا وأسبانيا وصقلية لمدة ليست

(١٣٨) انظر . نجيب العقيقي : المستشرقون ، الجزء الثالث ، مرجع سابق ، ص - ص ٣١٨ - ٣٢٤ ، حيث يقدم تراجم موجزة لهؤلاء الدارسين ، ويشير إلى مؤلفات كل منهم .
وانظر أيضا : عبد الرحمن بدوي : موسوعة المستشرقين ، مرجع سابق ، ص - ص ٢٦٩ - ٢٦٩ ، حيث عرض ترجمة لجبرائيل الصهيوني ، وأشار إلى كتابه عن « النحو العربي » .
ولعل الجدير بالذكر أن بدوي قد ذكر في صفحة ٣٨٤ أن هذا الكتاب قد اقتصر على تعليم مبادئ الخط العربي فقط .

قصيرة^(١٣٩) ، كما أنه كان يجيد اللاتينية والإيطالية مما يسر له الإطلاع على كتابات المستشرقين السابقين عليه والمعاصرين له فى قواعد العربية ، ثم إن البنية التأليفية الجديدة التى قدمها فى « بحث المطالب » تكشف عن تأثره بكتاب « إرينيوس » خاصة . ولكن ذلك التأثير لا ينفى أصالة « البنية التأليفية الكبرى » التى قدمها جرمانوس فى « بحث المطالب » ؛ فمن الواضح أن المقارنة بين كتابى « جرمانوس » و « إرينيوس » فى هذه البنية تكشف عن جوانب الاختلاف بينهما ؛ فإذا كانا قد أسسا هذه البنية على الدراسة الصوتية ، فمن الواضح أن الدرس الصوتى عند جرمانوس كان مكثفا ومركزا على جوانب محددة كمخارج الأصوات ، والحركات القصيرة ، والعلاقة بين الأصوات والحركات القصيرة عند الكتابة ، وذلك على العكس من إرينيوس الذى أفاض فى هذه الجوانب وغيرها من الجوانب الصوتية ، وأضاف إليها أحكام تلاوة القرآن .

وإذا كان إرينيوس قد قدم معظم موضوعات الصرف العربى ، فإن جرمانوس قد قدم معالجة وافية لمسائل الصرف العربى وفق منظور منضبط .

وإذا كان إرينيوس لم يعط دراسة الأدوات وبناء الجمل إلا حيزا ضئيلا

(١٣٩) . ذكر بروكلمان أن جرمانوس [زار روما وإسبانيا وصقلية ومالطة سنة ١٧١١] ، انظر : تاريخ الأدب العربى ، القسم الثامن ، مرجع سابق ، ص ٣٦ . بينما ذكر جورجى زيدان أن جرمانوس [سافر إلى أوروبا فزار إيطاليا وإسبانيا وصقلية وغيرها ، وبحث عن بعض الكتب النادرة ، ورحل إلى بلاد أخرى وهو يزداد بالرحلة اختبارا ومعرفة وشهرة ، فانتخب سنة ١٧٢٥ أسقفا على حلب] ، تاريخ آداب اللغة العربية ، الجزء الرابع ، مرجع سابق ، ص ٩ . وفحوى عبارات زيدان يفهم منها أن جرمانوس فرحات قد أقام فترة طويلة مرتحلا فى عدد من الدول الأوروبية .

جدا من مؤلفه ، مما شكل جانب قصور فيه - لأن جرمانوس قد قدم - كما بين التحليل في فقرات سابقة - دراسة وافية لقواعد النحو العربى وفق منطق مبتكر وتنظيم جديد لعدد كبير من موضوعات النحو العربى .

ولعل هذه المقارنة الموجزة تؤكد أصالة البنية التأليفية الكبرى التى قدمها جرمانوس فرحات فى « بحث المطالب » .

إن وضع كتاب « بحث المطالب » موضع مقارنة مع مؤلفات المستشرقين فى النحو العربى أو قواعد العربية فى القرن السابع عشر (وما بعده أيضا) يكشف عن أن العلاقة بينهما ليست مجرد تشابه فى البنية التأليفية الكبرى وفى الاهتمام بمسائل بنية الجملة العربية ، بل إن « بحث المطالب » هو واحد من الكتب العربية النحوية الحديثة التى تلقيت جيدا فى الدوائر الاستشراقية ، وأتيح له التأثير فى كتابات بعض المستشرقين فى النحو العربى . وبدل على ذلك ما ذكره « جراف » فى كتابه « تاريخ الأدب المسيحى العربى » من أن كتاب « بحث المطالب » قد عرف منذ بداية القرن الثامن عشر فى عدد من الجامعات الأوروبية ، ومنها ميونيخ التى عرفته عام ١٧٠٧ ، وليبزج التى عرفته عام ١٧٩٣ ، وبرلين التى عرفته عام ١٨٠٠ ، ثم مانشستر التى عرفته عام ١٨٣٠^(١٤٠) . مما يؤكد أن الدوائر الاستشراقية فى هذه الجامعات وغيرها من الجامعات الأوروبية قد أفادت منه فى تأليف كتب تعليم قواعد العربية . ولعل لما يعضد هذا ما ذكره يوسف الدبس صاحب « الجامع المفصل

Craf, Georg : Geschichte der chrislichen Arabischen Literatur, P 418 . (١٤٠) انظر :

فى تاريخ الموارنة المؤصل « من أن كثيرا من المؤلفات التى كتبها العلماء الموارنة فى القرن الثامن عشر قد نقلت إلى أوروبا وأفاد منها الأوروبيون (١٤١) .

ويؤكد ذلك التأثير ما أشار إليه المستشرق الإنجليزى « ويليام رايت »
W. Wright ، فى مقدمة كتابه « نحو اللغة العربية » A Grammar of Arabic Language الذى صدرت طبعته الأولى عام ١٨٥٢ ، أن كتاب « مصباح الطالب فى بحث الطالب » هو أهم مصادره الحديثة فى النحو العربى (١٤٢) .

وقد أشرنا من قبل إلى أن كتاب « مصباح الطالب » هو الطبعة الثانية من « بحث الطالب » ، وفيه حذف بطرس البستاني الأمثلة التطبيقية التى وضعها أحمد فارس الشدياق فى نهاية الطبعة الأولى من « بحث الطالب » .

تتيح لنا المقارنة بين « بحث الطالب » وكتب المستشرقين فى تعليم النحو العربى أن نتوقف - بإيجاز - مرة أخرى أمام « بحث الطالب » مقارنة بكتاب « التحفة المكتبية » للطهطاوى .

إذا كان جرمانوس قد أفاد البنية التأليفية الكبرى فى « بحث الطالب » من كتب المستشرقين ، وأضاف إليها إضافات أصيلة جعلت كتابه مؤثرا فى كتابات بعض المستشرقين الذين تلوه - فإن بنية التأليف فى « التحفة المكتبية » بنية تقليدية ، أى أنها تقوم على تكرار نمط تأليفى متكرر فى كثير من كتب

(١٤١) انظر : يوسف الدبس : الجامع المفصل فى تاريخ الموارنة المؤصل ، الطبعة العمومية الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٠٥ ، ص ٤٦٠ .

(١٤٢) انظر : Wright : Ibid .

التراث النحوى العربى مثل « شذور الذهب » لابن هشام ، وإن أضافت إليه
 جاء تجديدا واحدا يتمثل فى وضع القواعد النحوية فى إطار جداول .
 ومن الواضح أن الطهطاوى كان حريصا على أن يقدم قواعد النحو
 العربى فى إطار تلك البنية التقليدية ، فرغم تتلمذه على « دى ساسى » وصلته
 بمؤلفاته ووصفه لكتابه « التحفة السية فى علم العربية » بأن « دى ساسى »
 (ذكر فيه علم النحو على ترتيب عجيب لم يسبق به أبدا) (١٤٣) - رغم هذا
 كله لم يفد الطهطاوى من بنية التأليف فى كتاب « دى ساسى » ، على حين أن
 جرمانوس قد استطاع قبله - بأكثر من قرن ونصف القرن - أن يفيد من
 البنية التأليفية الكبرى فى كتب المستشرقين فى قواعد النحو العربى ، وأن
 يضيف إليها إضافات جذرية ، جعلت من كتابه « بحث الطالب » البداية
 الحقيقية لتجديد الدرس النحوى فى العصر الحديث .

(٣ / ٣) فرضيات جديدة :

تستطيع هذه الدراسة أن تطرح الفرضيتين التاليتين للدراسة :

أ - يمكن لهذه الدراسة أن تلفت الانتباه إلى ضرورة دراسة ما أسمته
 « غط التأليف » أو « البنية الكبرى » فى كتب المختصرات النحوية والصرفية
 فى التراث العربى (قياسا على ما كشف عنه تحليل « بحث الطالب »)
 من ناحية ، وفى مختلف كتابات مرحلة الإحياء فى القرنين الثامن والتاسع

(١٤٣) الطهطاوى . تخلص الإبريز فى تلخيص باريز ، دراسة وتعليق محمود فهمى حجازى ،
 الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ ، ص ٢٢١ .

عشر في علوم النحو واللغة والبلاغة والنقد من ناحية ثانية ، لاكتشاف الآليات والطرائق التي سعى بها أصحاب هذه الكتب أو مؤلفوها إلى تقديم مؤلفات التراث العربى والتعديل فيها استجابة للمتطلبات الجديدة التي فرضها الواقع الحديث .

ب - وضعنا في عنوان هذه الدراسة عبارتي « العصر الحديث » و « القرن الثامن عشر » مما يشير إلى تصور أن يكون القرن الثامن عشر هو بداية العصر الحديث ، أو البداية الأولى للعصر الحديث في بعض بيئات الثقافة العربية كبيتة الشام ، وهذا الفراض يلتقى مع بعض الدراسات التي قدمها بعض دارسي التاريخ العربى الحديث (١٤٤) .

ولكن هذين الافتراضين اللذين نطرحهما يتطلبان دراسات موسمة لكتابات أدباء القرن الثامن عشر في مجالات اللغة والأدب والنقد والبلاغة .

(١٤٤) انظر : على سبيل المثال : بيترجران : الجذور الإسلامية للرأسمالية (مصر ١٧٦٠ - ١٨٤٠) ترجمة محروس سليمان ، الطبعة الأولى ، دار الفكر للنشر والدراسات والتوزيع ، القاهرة ١٩٩٣ .

الملحق : جدول مقارنة الشواهد التراثية وشواهد الثقافة المسيحية

م	الموضوع	عدد الشواهد	الشواهد التراثية (أ)	الشواهد المسيحية المنسوبة (ب)	الشواهد ذات الصبغة المسيحية (ج)	نسبة (ب) إلى (ج)	نسبة (أ) إلى (ب) + (ج)
١	اللفظ المفيد المركب ص - ص ١٠٢ - ١٠٨	٥	صفر	صفر	- قام بطرس (٢) - بطرس قائم - تلميذ المسيح	صفر : ٥	صفر : ٥
٢	علامات الاسم ص ١٠٨	٧	- جاء زيد - مررت بزيدا - رأيت زيدا	- وحينئذ تنظرون علامات - ابن الإنسان - فيعجب كل منكم	قام بطرس	١ : ٢	٢ : ٤
٣	الاسم الموصول ص ١١٤	٦	- يعجبني أنهم قائم - جاء الضارب وجهه - جاء المضروب وجهه - جاء الحسن وجهه	- من يطلب ليحك - أعطوا ما أقيصر ليقيصر	—————	٢ : صفر	٦ : ٢
٤	الفاعل ص - ص ١٢٢ - ١٢٥	٢٢	- قام الرجلان - قام الرجلان - طلع الشمس - طلعت الشمس	—————	- قام بطرس (٤) - قالت مريم - ليس مريم واثقة - ليست مريم ماثقة	صفر : ١٧	١٥ : ١٧

		◦ قالت مريم ◦ مريم قالت ◦ هيئات بطرس ◦ عجبت من موت يسوع ◦ يسوع طاهرة أمه وحسن فعلها ◦ أحيى المسيح العازر ◦ ابتلى أيوب ربه ◦ أنشأني يسوع ◦ بشر لوقا البشير متى الرسول ◦ من تطلب (يسوع) = - أطلب يسوع		◦ قام الرجال ◦ قامت الرجال ◦ جاء المؤمنون ◦ النار أحرقت ◦ يعجبني أن تقوم ◦ لطم السيد العبد ◦ زيدا ضربت ◦ ضربت زيدا ◦ أيا تضرب أضرب ◦ من رأيت ◦ زيدا ضربته			
١٢ : صفر		—	—	◦ ضربت زيدا (٣) ◦ أكرمني زيد ◦ ضربني زيد ◦ ضرب الرجلين ◦ ضربت الرجلين	١٢	التنازع ص ١٢٥	٥

				• ضربت الظالمين • مروت يزيد • مربي زيد			
١ : ٩	صفر : ١	• صميم الصوم الكبير		• ضرب عمر زيدا • ما ضربت إلا أنت • ضرب زيد • أعطى زيد درهما • أرى زيد عمرا فاضلا • سير ميل • سير السير الشليلد • مر يزيد	٩	ثاني الفاعل ص ١٣٦	٦
٤٠ : ١٧	٢٠ : ١٠	• يسوع صانم • بطرس قائم • أنطرواوس أخو بطرس • يسوع بطرس حاشظه هو • مريم ولدت يسوع • يسوع عندك	• بك جنون • هل شيطان يخرج شيطاننا • ما أحد عارف يا لأب إلا الابن • برص كاشيرون في عهد • اليسع النبي	• ضارب زيدا حاضر • ما قائم الرجال • ما قائم الرجال • هل قائم الرجال • هل قائم الرجال • ما قائمان الرجال • ما قائمون الرجال • هل قائمان الرجال		المبتدأ والخبر ص - ص ١٤١ - ١٣٧	٧

		• هل قائمون الرجال • من أيوك • من يكرمني أكرمه • ما أحسن زيدا • عندك رجل • في الدار امرأة • في الدار صاحبها • كل إنسان وعمله • ضربي زيدا قائما	• سلام لكم • بطرس حماته محبوبة • السلام عليك يا مريم • كل من يأتي إلي فلا أخرجك • كم عنكم من الغيب • هاتوا سبعة • الله هو الكلمة	• يسوع ذلك المخلص • بطرس نعم الرسول • ما قائم بطرس • ليس قائم يونس • هل قائم يونس • هل قائم بطرس • ما بطرس كاذب • لبطرس رسول • بطرس رسول • رسول بطرس • عندك بطرس • في الدار يونس • بطرس قائم • بطرس يقوم • ما بطرس إلا رسول • إنما بطرس رئيس الرؤساء • أين بطرس • كيف يونس	
--	--	--	--	---	--

• ما في الدار إلا بطرس
• عندك بطرس قائم
• أين العازر مدحون
• لولا يسوع ما خلاصنا
• هل بطرس قائم

١٢ ، صفر

• زيد ضربته
• زيد ضربت أخاه
• زيدا ضربت
• خرجت لئلا زيد يضربه غلامه
• خرجت لئلا زيد يضرب غلامه
• خرجت لئلا زيد يضرب غلامه عمر
• إن زيدا تكرمه تكرمك
• هل زيدا وأخته
• فلا زيدا ضربته
• زيدا أخذه
• زيدا وعمرأ الكرمته
• زيد قام أبوه وعمرأ الكرمته .

١٢

الاشتغال
من - ص ١٤٢
١٤٢-

٨

١٢ : صفر				• كاد زيد يموت • كاد زيد ينهب أبوه • كاد زيد ينهب • كاد زيد يضرب • شرع زيد فيشك • رأيت زيدا ينشئ • كالأما ويشرع في عمله • عسى أن يقوم زيد • أو شك أن يموت زيد • اخذوا أن يتكلم زيد • زيد عسى أن - يقوم (٢) • الرجال عسى أن - يقوموا • الرجال عسى أن - يقوموا • عسى أن يقوموا • عسى أن يقوموا	١٣	أفعال المقاربة ص - ص ١٣٩ - ١٤٠	٩
----------	--	--	--	---	----	---	---

٣١ صفر	١٦ ، ١٥	• صرت مسيحيا إذن تدخل الجنة • جنت لكي أتربه • لا تخالف أمر المسيح فهلك • ليتني مسيحي فأتوب • نعم الرجل بطرس • نعم رسول المسيح بطرس • نعم رجلا بطرس • نعم الرجل بطرس • بنس التلميذ يوحنا • حبذا البطرس • حبذا البطرسون • حبذا رجلا بطرس • حبذا بطرس رجلا • حبذا بطرس راكبا	• نؤشك أن يفرق • لن نحل أن تكون لك امرأة • أتيتك يا بني كي تشفيه • لكيما يفتخر لكم بكم • كيلا يهلك من يؤمن به • حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب • ما جئت لأحل الشريعة بل لأكملها • من يطلب الخرافات أحب العصيان • من عاشر المتكبر يلبس الكبرياء • من لمس القار لصق به • إن ما أنكم فلا تردون • من لا يؤمن يلعن • من يفتخر لا يفتخر بالرب • إن استطعوك فلا تشمت به • من يكل على قلبه فجاهل • نعم نعم قد رأيت أعيننا		٢١	إعراب الفعل ص - من - ٢٠٤ - ٢١٢	١٠
---------------	----------------	--	--	--	-----------	---	-----------

المصادر والمراجع

أولاً : مؤلفات جرمانوس فرحات

- جرمانوس فرحات : بحث الطالب في علم العربية ، مألطة ١٨٣٦ .
- جرمانوس فرحات : بحث الطالب في علم العربية ، مع حواش عليه لمصححه المعلم سعيد الخورى الشرتونى اللبنانى ، الطبعة الرابعة ، مطبعة المرسلين اليسوعيين ، بيروت ١٨٩٥ .
- جرمانوس فرحات : إحكام باب الإعراب عن لغة الأعراب بتصحيح رشيد الدحداح ، مطبعة باراس وساثورنين ، مرسلية ١٨٤٩ .
- جرمانوس فرحات : كتاب الأجوبة الجلية في الأصول النحوية ، الطبعة الثالثة ، مطبعة الآباء الفرنسيسكانيين ، القدس ، ١٨٨٦ .
- جرمانوس فرحات : ديوان جرمانوس فرحات ، الطبعة الثانية ، تعليق وتصحيح سعيد الخورى الشرتونى ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، بيروت ١٨٩٤ .

ثانياً : المصادر التراثية

- الأردبيللى (جمال الدين محمد عبد الغنى) : شرح الأنموذج في النحو للعلامة الزمخشري ، تحقيق وتعليق حسنى عبد الجليل ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٩٠ .
- الجرجانى « أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن » : كتابه المفتاح في التصريف ، تحقيق وتقديم على توفيق احمد ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٧ .
- الجرجانى : « العمدة » كتاب في التصريف ، تحقيق وتقديم وتعليق ، البدرائى زهران ، دار المعارف ١٩٨٨ .
- الجرجانى : كتاب الجمل في النحو ، شرح وتحقيق ودراسة يسرى

- عبد الغنى ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٠ .
- ■ ■ الجوزوللى (أبو موسى عيسى بن عبد العزيز) : المقدمة الجزولية فى النحو ، تحقيق وشرح شعبان عبد الوهاب ، الطبعة الأولى ، أم القرى ، القاهرة ، ١٩٨٨ .
- ■ ■ ابن جنس (أبو الفتح عثمان بن يحيى) : اللمع فى العربية ، تحقيق حسين محمد محمد شرف ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٩ .
- ■ ■ ابن جسنس : المنصف شرح كتاب التصريف للمازنى ، الجزء الأول ، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي ، ١٩٥٤ .
- ■ ■ أبو هيان الأندلسى : ارتشاف الضرب من لسان العرب ، تحقيق وشرح ودراسة رجب عثمان محمد ، الطبعة الأولى ، مكتبة الخانجي ، ١٩٩٨ .
- ■ ■ الوهلى (أحمد بن على الرملى) : شرح الأجرومية ، تحقيق ودراسة على موسى الشوملى ، دار أمية للنشر والتوزيع ، الرياض ، دون تاريخ .
- ■ ■ الزججاسى (أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق) : كتاب الجمل فى النحو ، تحقيق وتقديم على توفيق الحمد ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، دار الأمل ، الأردن ، ١٩٨٤ .
- ■ ■ الشلو بينس (أبو على عمر بن محمد بن عمر الإشبلى) : التوطئة ، دراسة وتحقيق يوسف أحمد المطر ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ١٩٨١ .
- ■ ■ الهيدانى (أحمد بن محمد) : نزهة الطرف فى علم الصرف ، تحقيق وتعليق السيد محمد عبد المقصود درويش ، الطبعة الأولى ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٨٢ .
- ■ ■ ابن هشام (عبد الله بن يوسف الأنصارى) : شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة العاشرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

■ ■ ابن هشام (عبد الله بن يوسف الأنصاري) : الإعراب عن قواعد الإعراب ، تحقيق وتقديم على فودة نبيل ، عمادة شئون المكتبات ، الرياض ، ١٩٨١

■ ■ ابن هشام : نزهة الطرف في علم الصرف ، تحقيق ودراسة أحمد عبد المجيد هريدي ، مكتبة الزهراء ، ١٩٩٠ .

■ ■ ابن هشام : مفني اللبيب عن كتب الأعراب ، تحقيق حنا الفاخوري ، الطبعة الأولى ، دار الجليل ، بيروت ، ١٩٩٢ .

ثالثاً : المراجع الحديثة

■ ■ أدورد فنديك : اكتفاء القنوع بما هو مطبوع من أشهر التأليف العربية في المطابع الشرقية والغربية ، صححه وزاد عليه بعض الكلام السيد محمد علي الببلاوي ، طبع بمطبعة التأليف (الهلال) بالفجالة ، ١٨٩٦ .

■ ■ أهين ألبرت الويحانن : مدار الكلمة (دراسات نقدية) ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

■ ■ أنيس فويحة : نحو عربية ميسرة ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٥٥

■ ■ أنيس فويحة : نظريات في اللغة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٧٣ .

■ ■ أنيس فويحة : في اللغة العربية وبعض مشكلاتها ، دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٧٩ .

■ ■ البدراوس زهران : رفاة الطهطاوي وتيسير نحو العربية في كتابه التحفة المكتبة ، ووقفة مع الدراسات اللغوية الحديثة ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، ١٩٨٨ .

■ ■ بطرس حداد وچاك اسحاق : المخطوطات السريانية والعربية في خزانة أترهبانية الكلدانية في بغداد ، الجزء الثاني : المخطوطات العربية ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٨ .

- ■ جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية : دار الهلال . بدون تاريخ
- ■ حسن عيون : تطور الدرس النحوى ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٧٠
- ■ حسين محمد محمد شوقي : مقدمة تحقيقه لكتاب اللمع لابن جنى (بيانات النشر مذكورة فى المصادر) .
- ■ حسين نصار : المعجم العربى : نشأته وتطوره ، الطبعة الرابعة ، دار مصر للطباعة ، ١٩٨٨ .
- ■ رفاعة وافي الطهطاوى : تخلص الإبريز فى تله حبص باريز ، دراسة وتعليق محمود فهمى حجازى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ .
- ■ شوقى ضيف : تجديد النحو ، دار المعارف ، ١٩٨٢ .
- ■ شوقى ضيف : تيسير النحو التعليمى قديما وحديثا مع نهج تجديده ، دار المعارف ١٩٨٦
- ■ على توفيق الحمد : مقدمة تحقيقه لكتاب « الجمل فى النحو » للزجاجى (بيانات النشر مذكورة مع المصادر) .
- ■ كمال محمد بشر : دراسات فى علم اللغة ، القسم الثانى ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ١٩٧١
- ■ كوركيس سواد : الأصول العربية للدراسات السريانية ، الجمع العلمى العراقى ، ١٩٨٩ .
- ■ صارون عبود : صقر لبنان (بحث فى النهضة الأدبية الحديثة ورجلها الأول أحمد فارس الشدياق) - منشورات دار المكشوف ، بيروت ١٩٥٠ .
- ■ صارون عبود : رواد النهضة الحديثة ، نشر وتوزيع دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٦ .
- ■ محمد على الزركان : الجوانب اللغوية عند أحمد فارس الشدياق ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، سوريا ، ١٩٨٨ .

- ■ محمد سعيد : النحو المصفى ، مكتبة الشباب ، بدون تاريخ .
- ■ محمد سعيد : الصرف الواضح لبنية الكلمة العربية ، الطبعة الأولى ، مكتبة الشباب ١٩٩٣
- ■ محمد الهادي المطاوي : أحمد فارس الشدياق : حياته وآثاره وآراؤه في النهضة العربية الحديثة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٨٩ .
- ■ محمود فهمي حجازي : أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي مع النص الكامل لكتابه « تخليص الإبريز في تلخيص باريز » ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ .
- ■ محمود فهمي حجازي : علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، دون تاريخ .
- ■ محمود فهمي حجازي : الأسس اللغوية لعلم المصطلح ، دار غريب للطبع والنشر والتوزيع ، دون تاريخ .
- ■ نجيب العقيلي : المستشرقون ، الجزء الثاني ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ١٩٦٥ ، والجزء الثالث ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ١٩٨١ .
- ■ نقولا زيادة : أبعاد التاريخ اللبناني الحديث ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٢ .
- ■ يوسف الدبس : الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل ، الطبعة العمومية الكاثوليكية ، بيروت ١٩٥٥ .
- ■ يوسف داود الموصلي : التمرنة في الأصول النحوية ، جزآن ، طبع دير الآباء الدومنيكيين ، الموصل ١٨٧٥ ، ١٨٧٦ .

■ ■ رابعا : مقالات الدوريات ■ ■

- ■ جورجس منش المارونى الحلبي : مطالب في بحث المطالب ، المشرق ، السنة الثالثة ، العدد الثالث والعشرون ، يناير ١٩٥٥ .

■ ■ جوجس هنش المارونى الحلبي : المستطرفات المستطرفات فى حياة السيد جرمانوس فرحات ، المشرق ، السنة السابعة ، العدد الثانى ، ١٥ كانون الثانى ١٩٠٤ .

■ ■ جوجس هنش المارونى الحلبي : تركة السيد جرمانوس فرحات ، المشرق ، السنة السابعة ، العدد الثامن ، أبريل ١٩٠٤ .

■ ■ خامسا : دوائر المعارف والقواميس المتخصصة

■ ■ بطرس البستاني : دائرة المعارف ، طبعة دار المعرفة ، بيروت ١٨٧٦

■ ■ خير الدين الزركلى : الأعلام (قاموس لأشهر تراجم الرجال والنساء من العرب والمستشرقين والمستعربين) ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٩٠ .

■ ■ عبد الرحمن بدوى : موسوعة المستشرقين ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٤

■ ■ يوسف إيلياى سوكيس : معجم المطبوعات العربية والمعرية ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، دون تاريخ .

■ ■ سادسا : المراجع المترجمة

■ ■ بيوكلمان ، كارل : تاريخ الأدب العربى ، القسم الثامن : العصر العثمانى ، ترجمة محمود فهمى حجازى وعمر صابر عبد الجليل ، إشراف محمود فهمى حجازى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥ .

■ ■ بيتوجوان : الجذور الإسلامية للرأسمالية (مصر ١٧٦٠ - ١٨٤٠) ترجمة محروس سليمان ، الطبعة الأولى ، دار الفكر للنشر والدراسات والتوزيع ، القاهرة ١٩٩٣ .

■ ■ يوهان فوك : تاريخ حركة الاستشراق : الدراسات العربية والإسلامية فى أوروبا حتى بداية القرن العشرين ، تعريب عمر لطفى العالم ، الطبعة الأولى ، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ١٩٩٦ .

سابعاً : المراجع الأجنبية

- Bobizin, Hartmut : Guillaume Postel (1510 - 1581) und die Terminologie des arabischen Nationalgrammatik, Studies in The History of arabic Grammar, ed by kees versteegh and michael G. carter, Amsterdam 1990 .
- Blache're et Gaudefory : Grammaire de L'Arab Classique, Paris 1952 .
- De Sacy, Silvestre : Grammaire Arabe, Paris, 1829 .
- Graf, George : Geschichte der Christlichen Arabischen Literatur, Citte de Vaticano, Biblioteca Apostollica Vaticana 1977 .
- Hartmann, Martin : Philologie, Deutsche Literatur Zeitung, N. 5, 1896 .
- Starky, Pual and Meisami, Julie Scott (ed) : Encyclopedia of Arabic Literature, Routledge, London and New York 1998 .
- Wright : A grammar of the Arabic Language, University Press, Combridge, 1964 .

فهرس الكتاب

تجدير أ. د. حسين نهار

٥

مقدمة

٩

(١) آراء الدارسين السابقين في بداية تجديد الدرس النحوي

١٦

٢ - ١ مواقف الدارسين العرب والمستشرقين من كتاب بحث الطالب

٢٠

٣ - ١ التعريف بجermanوس فرحات وجهوده التجديدية في اللغة

٢٢

والنحر

٤ - ١ مفهوم تجديد الدرس النحوي ومقوماته ، فرضية الدراسة

٣١

(٢) ظواهر تجديد الدرس النحوي في « بحث الطالب »

٣٣

١ - نط التأليف وعلاماته : البنية الكبرى

٣٤

٢ - ١ - ٢ تنظيم بعض أبواب النحر وفق منطق مبتكر

٤٥

٣ - ١ - ٢ البنية الصغرى

٥٤

٢ - ٢ المصطلحات بوصفها علامات

٦٠

٣ - ٢ الإيجاز في تقديم المادة النحوية والصرفية

٦٦

٤ - ٢ بنية تنظيم تناول الموضوع النحوي

٧٢

٥ - ٢ الأمثلة : دورها العلامى - أنماطها - إحصاءات الأنماط -

٧٨

دلالات - الإحصاءات

(٢) بلورة النتائج

٨٨

٢ - ٣ البنية التأليفية الكبرى في إطار مقارنة

٩٠

٣ - ٣ فرضيات جديدة

١٠٠

الملحق : جدول مقارنة الأمثلة المستخدمة

١٠٢

المصادر والمراجع

١١٠

